مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

الإصدار (١٤)

دراسات تأصيلية (٣)

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد

تأليف
أ.د. غانم بن قدوري الحمد

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد
أ.د. غانم بن قدوري الحمد

أهمية علم الأصوات اللغوية

في دراسة علم التجويد

ح مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، غانم قدوري

أهيمة علم الاصوات اللغوية في دراسة علم التجويد. /غانم قدوري الحمد. - الرياض، ١٤٣٥هـ

..ص؛ ..سم

ردمك: ٢-٠-٩٠٥٥٤-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - القراءات و التجويد ٢-الاصوات اللغوية أ.العنوان

ديوي ٢٢٨,٩ ١٤٣٥/٤٥٦٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٤٥٦٥

ردمك: ٢-٠-٩٠٥٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies
المملكة العربية السعودية – الرياض
حي الغدير – طريق الملك عبدالعزيز
هاتف: ٢١٠٩٦٢٠(٠١١) فاكس: ٢١٠٩٧١٣(٠١١)
ص.ب. ٢٤٢١٩٩ الرمز البريدي ١١٣٢٢
البوابة الالكترونية : www.tafsir.net
البريد الإلكتروني : info@tafsir.net

جميع الحقوق محفوظة

الريادة في تطوير الدراسات القرآنية

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

دراسات تأصيلية (٣)

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد

تأليف

أ.د. غانم بن قدوري الحمد

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ عرفت كتاب (رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية) للدكتور غانم قدوري الحمد عام ١٤١٣هـ تقريباً أحببت المؤلف، وبدأت أتتبع كتبه وبحوثه التي كانت تنشر في المجلات العراقية وغيرها، وشاء الله أن نتعرف على الدكتور غانم قدوري الحمد بعد ذلك عندما كتبت عنه مقالة تعريفية به وبجهوده في علم التجويد والصوتيات الخادمة للتجويد عام ١٤٢٤هـ ، ومنذ ذلك التاريخ والدكتور غانم قدوري الحمد يشارك معنا في (ملتقى أهل التفسير) ببحوثه ومقالاته، وننتفع بعلمه في كل مناسبة نتواصل من خلالها.

وقد يسر الله لنا في كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود تنظيم (المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية) بالتعاون مع مركز تفسير للدراسات القرآنية فطلبنا من أستاذنا الدكتور غانم قدوري الحمد المشاركة في فعاليات هذا المؤتمر بورقة بحثية في جلسات المؤتمر، ودورة تدريبية في مجال تخصصه وبحوثه في الصوتيات وأهميتها للباحث في علم التجويد، وأوجه الإضافة التي تضيفها هذه الدراسات الصوتية المعاصرة لعلم التجويد في كافة جوانبه، وتكون

هذه الدورة خاصة للباحثين المتخصصين الراغبين في الإفادة من أثر هذا العلم الحديث في علم التجويد. وقد تفضل الدكتور غانم قدوري الحمد بتلبية الدعوة وفقه الله، وهذه مادة الدورة التدريبية بين أيديكم كما كتبها مؤلفها جزاه الله خيرًا.

نسأل الله أن يبارك في هذا الجهد العلمي، وأن يتقبل من المؤلف الكريم الدكتور غانم الحمد، وأن ينفعنا جميعاً بعلم كتابه الكريم.

عبدالرحمن بن معاضة الشهري

المشرف على كرسي القرآن الكريم وعلومه

مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية

الرياض في ١/ ٤/ ١٤٣٤هـ

مقدمة

مقـدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فقد تلقيت دعوة كريمة للمشاركة في (المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية) الذي ينظمه كرسي القرآن الكريم وعلومه في جامعة الملك سعود في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، بالتعاون مع مركز تفسير للدراسات القرآنية، والمقرر عقده يوم السبت ٦/ ٤/ ١٤٣٤هـ الموافق ١٦/ ٢/ ٢٠١٣م، لمدة خمسة أيام، إن شاء الله تعالى، وقد اغتبطت بهذه الدعوة، وأعطيت الاستعداد للمشاركة في المؤتمر ما يتطلبه من الوقت والجهد، لما يتميز به موضوع المؤتمر، ولعراقة المؤسسة التي تتولى تنظيمه، وما يتيحه حضور مثل هذه المؤتمرات من تعارف وتبادل للخبرات.

وقلتُ في مقدمة البحث الذي تَقَدَّمْتُ به للمؤتمر، وعنوانه: (مراجعة عدد من النظريات المتعلقة برسم المصحف، في ضوء علم الخطوط القديمة): «وقد تجاذبني عِلْمَانِ من علوم القرآن، وأنا أُفَكِّرُ

في اختيار الموضوع الذي يمكن أن أكتب فيه للمشاركة في المؤتمر: عِلْمُ رسم المصحف الذي كتبتُ فيه رسالتي للماجستير، وحَقَّقْتُ عدداً من كتبه، وناقشتُ عدداً من قضاياه في أبحاث مفردة، وعِلْمُ التجويد الذي كتبتُ فيه أطروحتي للدكتوراه، وحَقَّقْتُ عدداً من كتبه، وتابعتُ البحث والتأليف فيه، وأشعر أني قد استوفيتُ الكتابة في أكثر الجوانب المهمة فيه، ووجدتُ أنه لا يزال هناك متسع للبحث في جوانب من علم رسم المصحف، مما يمكنني الكتابة فيه».

ويبدو أن الفرصة للبحث في علم التجويد لم تنقضِ بالمشاركة في المؤتمر ببحثٍ في رسم المصحف، فقد تَلَقَّيْتُ دعوة من الأخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري رئيس المؤتمر، والمشرف على كرسي القرآن الكريم وعلومه في جامعة الملك سعود، لإلقاء محاضرات ضمن فعاليات المؤتمر على مجموعة من طلبة الدراسات العليا في الجامعة وغيرهم من المهتمين بعلم التجويد، تدور حول (أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد).

وقد وافقتُ على تلبية الدعوة، مع ما أجد من تزاحم الأعمال، وتناقص القدرة على إنجازها، لاعتقادي بجدية الدعوة، وأهمية الموضوع، والمستوى العلمي العالي للمشاركين فيها، وحرصي على مناقشة مجموعة من الأفكار التي كنت قد تَبَنَّيْتُهَا في أبحاثي ودراساتي السابقة في علم التجويد، بدءاً بأطروحتي للدكتوراه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)، ومروراً بمجموعة الأبحاث التي تضمنها كتابي (أبحاث في علم التجويد)، وانتهاء بمجموعة الأبحاث التي تضمنها كتابي (أبحاث جديدة في علم التجويد والأصوات)، مع هذه

النخبة العلمية المتميزة، من المهتمين بعلم التجويد والقراءات القرآنية، والمتطلعين إلى ما يخدم هذه العلوم، ويجدد مادتها وأساليب تناولها وتدريسها، وتتلخص وجهة نظري في ذلك كله بأهمية علم الأصوات اللغوية في معالجة موضوعات علم التجويد وطريقة تعليمها[١]، وهو ما حاولت تطبيقه في الكتب التي كتبتها من قبل، وهي: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، وشرحي للمقدمة الجزرية (الكبير والوجيز)، والميسر في علم التجويد. وسوف يتضمن برنامج هذه الحلقة النقاشية في إطار هذه المحاضرات، المحاور الآتية:

المحور الأول: مقدمة تاريخية ومنهجية، تتناول الموضوعات الآتية:

١ ـ نشأة علم التجويد وعلاقته بعلم الأصوات.

٢ ـ علم التجويد بين الرواية والدراية.

٣ ـ فروع علم الأصوات اللغوية.

٤ ـ أَيُّ فروع علم الأصوات أكثر فائدة للمشتغلين بعلم التجويد؟

---

(١) لا تخلو الساحة من المتشككين والمشككين في جدوى دراسة علم الأصوات اللغوية وفائدتها للمشتغلين بقراءة القرآن وتجويده، وكنت قد شاركت قبل أكثر من سنتين في حوار علمي على صفحات ملتقى أهل التفسير حول هذا الموضوع، وجمعت ما كتبتُ في ذلك الحوار من حلقات في رسالة سميتها: (الرد الجميل على من أنكر فائدة علم الأصوات للمشتغلين بالتجويد والترتيل)، وهي لم تنشر، وضمن هذه الورقة بعضاً مما ورد فيها.

المحور الثاني: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية، والمخارج والصفات:

١ ـ آلية إنتاج الصوت اللغوي.

٢ ـ ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تحديد المخارج.

٣ ـ ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تعريف عدد من الصفات.

المحور الثالث: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة المصوتات (الحركات وحروف المد):

١ ـ الحركات المعيارية، ودورها في تحديد مخارج المصوتات وصفاتها.

٢ ـ الترقيق والتفخيم (والإمالة والفتح) في المصوتات.

٣ ـ ظواهر صوتية تتعلق بالمصوتات: الإشمام.

المحور الرابع: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة عدد من الظواهر الصوتية التركيبية:

١ ـ أحكام النون الساكنة (الإخفاء).

٢ ـ أحكام الميم الساكنة (الإخفاء الشفوي).

وأرجو أن يتسع وقت الحلقة لاستيعاب الحديث عن هذه الموضوعات، وآمل أن أجد من الوقت ما يسعفني لإعداد مادة هذه الموضوعات على نحو يتناسب وأهمية الهدف الذي أرجو أن يتحقق

من خلالها، ويتلخص في أمرين: الأول: التحقق من أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة موضوعات علم التجويد وتعليمها، والثاني: إبراز ما حققه علماء التجويد من أفكار صوتية، وما وصلوا إليه من حقائق علمية، من خلال وسائلهم التي تعتمد على الملاحظة الذاتية، قبل أن تظهر الدراسة الآلية للأصوات، وقبل أن يستعين الدارسون بأجهزة مختبرات الصوت، وغيرها من الأجهزة الحديثة التي يتقاسم العمل فيها أهل التشريح، وأطباء الأنف والأذن والحنجرة، وأهل الفيزياء وهندسة الاتصالات، ومن ورائهم أهل الأصوات.

ويبدو أن الفريقين من المشتغلين بعلم التجويد، والدارسين للأصوات اللغوية، بهم حاجة إلى تَعَرُّفِ كل فريق على ما عند الفريق الآخر، واقتباس ما فيه فائدة منه، لأن الموضوعات مشتركة، والوسائل متقاربة، وتبدو الفجوة بين العلمين مصطنعة، والجفوة بينهما ناتجة عن عدم معرفة كل فريق بما عند الآخر، «فإن كانوا ممن لا خبرة لهم بالقراءات وكتب التراث اللغوي استقوى عليهم العجز، فلم يقدروا على فك رموز الدرس الصوتي عند القراء والنحويين، وإن كانوا من أهل القراءات أحسوا بشيء من عدم القدرة على مواكبة الدرس الصوتي الحديث»(١).

وإذا كان دارسو الأصوات اللغوية منشغلين بما هم فيه من أفكار جديدة، ووسائل حديثة، غير مهتمين بكتب علم التجويد، فإن على

---

(١) قال ذلك الأستاذ الدكتور سمير شريف إستيتية، في التقرير الذي كتبه في تقويم كتابي: شرح المقدمة الجزرية (ينظر التقرير ص٦٧٨ ـ ٦٧٩ من الكتاب المذكور).

المشتغلين بدراسة علم التجويد وتعليمه ألا يقنعوا بما في أيديهم من درس قديم متميز، أثبتت الأيام فاعليته بتعليم التلاوة وصيانة القراءة، يقول الدكتور منصور بن محمد الغامدي: «قام علماء التجويد بوضع قواعد التجويد وتعليمها للقراء ليتوارثوها جيلاً بعد جيل، ليس كتابةً فحسب بل بتطبيقها عملياً، ورغم تقديرنا لما بُذِلَ في هذا المجال إلا أننا نحتاج إلى قفزة في علم التجويد، وذلك لأن الدارسين المعاصرين أكثر دراية بجسم الإنسان وجهازه الصوتي، فيطلبون تعريفاً دقيقاً للخصائص الأصواتية من حيث مخارج الأصوات وكيفية إخراجها، وأكوستيكية الأصوات العربية، وهذا يستوجب القيام بدراسات معملية للمقرئين المجازين لقراءة القرآن»(١).

ولما كان الهدف من عقد هذه الحلقة النقاشية مدارسة مدى فائدة علم الأصوات اللغوية للمشتغلين بعلم التجويد، فإن ذلك لا يستدعي تتبع كل تفصيلات موضوعات التجويد، والبحث عن أجوبة لكل المسائل المتعلقة به وفق النظرية الصوتية الحديثة، لأن الوقت المتاح لا يستوعب كل ذلك، ومن ثم فإني أوردت من المسائل أهمها، ومن الأمثلة أوضحها، وإذا حَقَّقَتْ هذه الحلقة هدفها الذي يتلخص بلفت أنظار المشتغلين بعلم التجويد بأهمية علم الأصوات اللغوية لهم فإن آفاق التجديد والتطوير سوف تكون مفتوحة بين يدي المهتمين بالموضوع، المتحمسين له.

وأود في آخر هذه المقدمة لفت نظر القارئ إلى أن ما ورد في هذه

---

(١) الصوتيات العربية ص ١٥٩.

الحلقة من دعوة إلى الإفادة من علم الأصوات اللغوية في مباحث علم التجويد لا يعني الدعوة إلى التخلي عن تراثنا الصوتي الذي حَفَلَتْ به كتب علم التجويد والنحو والصرف، فقد أثبت الدرس الصوتي الحديث صحة ما دَوَّنَهُ علماء العربية والتجويد في كتبهم عن الأصوات اللغوية في جملته، وكان لهذا التراث مكانته في حفظ قراءة القرآن والنطق العربي صحيحاً على مدى قرون كثيرة، لكن ذلك لا يمنع من الإفادة مما أحرزه التقدم العلمي وكشف عنه من حقائق تتعلق بالأصوات اللغوية من جانب، وبآلة النطق وطريقة عملها من جانب آخر، وهو ما أسعى إلى بيانه في هذه الحلقة.

وأتقدم بشكري الجزيل لجامعة الملك سعود، وكرسي القرآن الكريمة وعلومه فيها، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري، رئيس المؤتمر، والمشرف على الكرسي، على دعوتهم لي وإتاحة هذه الفرصة لمناقشة الموضوع مع ثلة من المتخصصين بعلم القراءات، والمهتمين بعلم التجويد، والله تعالى ولي التوفيق، الهادي إلى سواء السبيل.

تكريت

الجمعة: ١٢/ ٢/ ١٤٣٤هـ = ٤/ ١/ ٢٠١٣م

المحور الأول

مقدمة تاريخية ومنهجية

المحور الأول

مقدمة تاريخية ومنهجية

الحديث عن تاريخ علمٍ ما من العلوم والبحث عن نشأته يكشف عن الظروف التي اكتنفت تلك النشأة، ويكشف عن العلوم الأخرى التي كان يتداخل معها في موضوعاته قبل أن يأخذ شكله المستقل، وما آلت إليه تلك العلاقة في مرحلته الجديدة، كما أن البحث في المنهج الذي يقوم عليه ذلك العلم يُبَيِّنُ مقدار قربه أو بعده من علوم أخرى كانت تتداخل معه في بعض الموضوعات، وأحسب أن علم التجويد تنطبق عليه هذه الملاحظة، ومن ثم فإني أجد أن الحديث عن نشأته، والوقوف عند عدد من القضايا التاريخية والمنهجية المتعلقة به، أمر مفيد ونحن نريد أن نتبين مدى حاجة دارس علم التجويد ومُتَعَلِّمِهِ إلى علم الأصوات اللغوية اليوم.

أولاً: نشأة علم التجويد:

إن الحديث عن نشأة علم التجويد يرتبط بالحديث عن عِلْمَيْنِ آخَرَيْنِ هما علم القراءات، وعلم العربية، ففي ظل هذين العلمين نبتت مباحث علم التجويد، ومن خلالهما تطور هذا العلم، حتى استقل عنهما تحت اسم جديد، هو علم التجويد.

ولا يخفى عليكم أن هناك حقبة من الزمن تمتد بين نزول القرآن

الكريم وظهور التأليف في علوم القرآن وعلوم العربية، قد تصل إلى قرن من الزمن أو أكثر، كانت قراءة القرآن الكريم في هذه المرحلة تعتمد على التلقي الشفهي والتلقين المباشر، في عصر كانت فيه الملكة اللغوية لا تزال ماثلة في نفوس الكثيرين، لكن انتشار الإسلام في بلدان واسعة، ودخول كثير من غير العرب فيه قد أظهر حاجة إلى تدوين قواعد اللغة، وحفظ القراءات في كتب مدونة، ومن ثم ظهر التأليف في هذه العلوم، ولا يتسع المقام للحديث المفصل عن ذلك، ومن ثم سوف أشير إلى تلك النشأة بإيجاز.

إن علم التجويد تأخر في الظهور نحو قرنين من الزمان بعد ظهور الكتب الجامعة في علم القراءات، واللغة العربية، لكن المادة العلمية التي دار حولها هذا العلم كانت جزءاً من تلك الكتب، فأقدم كتاب وصل إلينا في قواعد اللغة العربية، وهو كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) يتضمن باباً كبيراً عن مخارج الحروف وصفاتها والظواهر الصوتية المتعلقة بها[(١)].

وظهر أول كتاب جامع في القراءات القرآنية، وهو كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، الذي نُقِلَتْ نصوصٌ منه في بعض الكتب[(٢)]، وليس لدينا ما يشير إلى أن الكتاب تضمن مباحث في الأصوات أو علم التجويد، لكن أقدم ما وصل إلينا من كتب القراءات، وهو كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، فيه إشارات إلى بعض مسائل التجويد، وهناك عدد من الروايات المنقولة عن ابن مجاهد، وهي تعالج بعض موضوعات التجويد، من أهمها قول ابن مجاهد: «اللَّحْنُ في القرآن لَحْنَانِ: جَلِيٌّ وخَفِيٌّ،

(١) ينظر: الكتاب ٤/ ٤١٣ ـ ٤٨٥.

(٢) ينظر: السخاوي: جمال القراء ٢/ ٤٢٤ ـ ٤٣١.

فالجليُّ لَحْنُ الإعرابِ، والخفيُّ تَرْكُ إعطاءِ الحرفِ حَقَّهُ من تجويد لفظه»[(١)]، وهذا أقدم نص وردت فيه كلمة (التجويد) بمعنى يَقْرُبُ من معناها الاصطلاحي.

وانتهى التقدم العلمي الكبير في القرنين الثاني والثالث الهجريين في علم اللغة العربية وعلم القراءات القرآنية إلى ترسيخ قناعة لدى العلماء بضرورة إفراد موضوع مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها الصوتية بكتب خاصة، مستقلة عن كتب النحو والصرف والقراءات، وشهد القرن الرابع ولادة علم جديد يحقق ذلك الهدف، على يد أحد علماء القراءة، وأحد علماء العربية.

فقد نَظَمَ أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) قصيدةً في حُسْنِ أداء القرآن، في واحد وخمسين بيتاً مطلعها:

أَقُولُ مَقَالاً مُعْجِباً لأُولِي الحِجْرِ ولا فَخْرَ إنَّ الفَخْرَ يَدْعُو إلى الكِبْرِ

وقال ابن الجزري: «هو أول مَن صَنَّف في التجويد في ما أعلم، وقصيدته الرائية مشهورة[(٢)]، شرحها الحافظ أبو عمرو»[(٣)].

---

(١) ينظر: الداني: التحديد ص١١٨.

(٢) حَقَّقْتُ القصيدة ضمن بحث (علم التجويد: نشأته ومعالمه الأُولى) المنشور في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد في العدد السادس ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ونشرها الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ سنة ١٤٠٢هـ ضمن (قصيدتان في التجويد لأبي مزاحم الخاقاني، ولعلم الدين السخاوي)، ونشرها الدكتور علي حسين البواب في مجلة المورد ببغداد سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م (المجلد ١٤، العدد الأول)، ونشرها المحقق الهندي محمد عزيز شمس في كتابه (روائع التراث).

(٣) غاية النهاية ٢/٣٢١، وتوجد من شرح الداني عدة نسخ، وقد حَقَّقَ الشرح في رسالة علمية غازي بن بنيدر العمري في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٨هـ.

وكَتَبَ ابن جِنِّي (ت ٣٩٢هـ) كتاب (سر صناعة الإعراب) في ذكر أحوال الحروف مفردة، وبيان مخارجها وصفاتها، وتصرفها في الكلام، وأطلق على هذه المباحث علم الأصوات والحروف[١].

واستطاع علماء قراءة القرآن أن يَخْطُوا بهذا العلم الوليد نحو الاكتمال والاستقلال، في حين توقفت جهود علماء العربية عند كتاب ابن جني الذي اختلطت فيه الدراسة الصرفية بالدراسة الصوتية، وظلوا يتناولون الموضوعات الصوتية في كتب النحو والصرف، وتمكن أحد علماء القراءة قبل نهاية القرن الرابع الهجري أن يكتب رسالة في اللحن الجلي و اللحن الخفي كان لها دور في تأسيس علم التجويد وتثبيت أركانه، فقد كتب أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي (ت ٤١٠هـ) رسالة (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)، ومع أن السعيدي لم يستخدم في عنوان هذه الرسالة كلمة التجويد، إلاَّ أنه ذكر في مقدمتها أن موضوعها هو تجويد القراءة، وذلك في قوله: «سألتني ـ أسعدك الله بطاعته، ووفقك لمرضاته ـ أن أصِفَ لك نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن...»[٢]، وتحدَّث السعيدي في هذه الرسالة عن اللحن الخفي وصوره التي يمكن أن ينزلق إليها اللسان في تلاوة القرآن.

وكان أول كتاب جامع معروف في علم التجويد[٣] هو كتاب

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢.
(٢) ينظر: رسالتان في تجويد القرآن ص٢٧.
(٣) مما يدل على أن القرن الرابع الهجري انقضى ولم يظهر مُؤَلَّفٌ مستقل في علم التجويد. ابن النديم (ت٣٨٥هـ) لم يُشِرْ إلى أي كتاب يحمل في عنوانه كلمة التجويد، علماً أنه ذكر اثنين وعشرين كتاباً في القراءات (ينظر: الفهرست ص ٣٨).

(الرعاية لتجويد القراءة) لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، وكتاب (التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، ولا يتسع المقام للحديث المفصل عن هذين الكتابين ودورهما في إرساء معالم هذا العلم الشريف، أعني علم التجويد، لكني سأقف هنا عند مظاهر ارتباط موضوعات الكتابين ومنهجهما بكتب علم النحو والصرف ومنهجها، خاصة كتاب سيبويه من جهة الموضوعات، وكتاب سر صناعة الإعراب من ناحية المنهج، والموضوعات أيضاً.

ويكاد منهج كتاب الرعاية لمكي، ومنهج كتاب التحديد للداني، يتطابق مع منهج سر صناعة الإعراب، مع إضافات مهمة في الكتابين تؤكد ارتباط موضوعهما بالقرآن الكريم خاصة، ويقوم منهج كتاب ابن جني على الترتيب الآتي:

١ ـ مقدمة تتضمن فاتحة الكتاب، والغرض من تأليفه، ثم التعريف بالصوت، والحرف، والحركة، والعلاقة بين الحركات وحروف المد، ومعنى حروف المعجم[١].

٢ ـ باب أسماء الحروف، وأجناسها، ومخارجها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة والمستقبحة، ذَكَرَ فيه ابن جني عددَ حروف العربية الأصول وترتيبها، والحروف الفرعية المستحسنة، ثم ذكر مخارج الحروف، ثم ذكر أجناس الحروف، ويعني بذلك صفاتها[٢].

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ١٥ ـ ٥٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٥٤ ـ ٨١.

٣ ـ باب طويل يستغرق معظم صفحات الكتاب، ذكر فيه ابن جني حروف المعجم حرفاً حرفاً على ترتيبها الهجائي، يذكر في أول الحديث عن كل حرف أهم صفاته الصوتية، ومواقعه في أبنية الكلم العربية، ثم يذكر أحواله من حذف أو زيادة أو إبدال(١).

٤ ـ موضوعات تكميلية، منها: فصل في تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها، وفصل في مذهب مزج العرب الحروف بعضها ببعض، وفصل لإفراد الحروف في الأمر(٢).

ويقوم منهج كتاب (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) لمكي بن أبي طالب القيسي على الترتيب الآتي:

١ ـ مقدمة الكتاب: تحدث فيها مَكِّيٌّ عن قصة تأليف الكتاب، وبيان موضوعاته، ومما يلفت النظر في هذه المقدمة تصريحه أن موضوع الكتاب يقوم على العلم بمراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها(٣).

٢ ـ أبواب مختصرة في الترغيب في حفظ القرآن وثوابه، وفضل أهله، وما يتعلق بذلك(٤).

٣ ـ معرفة الحروف التي يتألف منها الكلام وعللها، ذَكَرَ مكي في عدد من الأبواب عدد حروف العربية، وضروب تأليف

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٨٣ ـ ٣٢٦، و٢/ ٥ ـ ٤٠٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٤٠٥ ـ ٤٤٢.
(٣) ينظر: الرعاية ص٥٣.
(٤) الرعاية ص ٥٥ ـ ٩٢.

الكلام، ومعرفة السابق من الحروف والحركات، وأيها مأخوذ من الآخر الحركات أو حروف المد، والحروف الفرعية المستحسنة، وما انفردت به لغة العرب من حروف[١].

٤ ـ باب صفات الحروف وألقابها وعللها، ذكر فيه مكي أربعة وأربعين لقباً، وذكر في كل لقب حروفه، ثم معناه وسبب تسمية هذه الحروف به[٢].

٥ ـ باب طويل ذكر فيه حروف العربية مرتبة على ترتيب المخارج، ويذكر في كل حرف مخرجه، وصفاته، وأحواله، وما يجب من التحفظ عند النطق به، خاصة إذا جاوره ما يقاربه أو يشاركه في بعض الصفات[٣].

٦ ـ مجموعة أبواب تكميلية، منها باب للغنة، وبابٌ للاختلاف في المخارج، وباب للمشددات من الحروف، والوقف على المشدد، وباب لأحكام النون الساكنة والتنوين[٤].

ولا يبتعد كتاب التحديد عن هذا المنهج، ويمكن بسهوله تقسيم موضوعاته على ثلاثة أقسام، بعد مقدمة ثم خاتمة في آخر الكتاب، القسم الأول: في التعريف بالمصطلحات المتعلقة بموضوع الكتاب، مثل التجويد والترتيل، وأحوال الحروف من التحريك والسكون والمد

---

(١) الرعاية ص ٩٣ ـ ١١٤.
(٢) الرعاية ص ١١٥ ـ ١٤٤.
(٣) الرعاية ص ١٤٥ ـ ٢٣٩.
(٤) الرعاية ص ٢٤٠ ـ ٢٦٩.

والإخفاء والإدغام ونحوها[١]، والقسم الثاني: في مخارج الحروف وصفاتها، وأَلْحَقَ بهذا القسم ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين[٢]، والقسم الثالث: في ذكر الحروف وما يلزم من تجويد اللفظ بها، مُرَتَّبَةً على مخارجها[٣]، والخاتمة في أحوال الحركات في الوقف، وبيان أقسام الوقوف[٤].

ولا يخفى على المتأمل مقدار التشابه في الموضوعات في الكتب الثلاثة: سر صناعة الإعراب، والرعاية، والتحديد، وفي طريقة ترتيبها، وهو ما يؤكد الترابط بين علم التجويد وعلوم العربية، خاصة علم الأصوات العربي الذي تجلى في القديم في (سر صناعة الإعراب)، وبتعبير أكثر دقة يؤكد ذلك مقدار اعتماد علم التجويد على جهود علماء العربية في دراسة الأصوات من ناحية المنهج والموضوعات.

وتظهر تلك الرابطة بين علم التجويد وجهود علماء العربية في الدرس الصوتي بشكل واضح من خلال الموازنة بين معالجة علماء التجويد (الرعاية والتحديد مثالاً) لموضوع مخارج الحروف وصفاتها وما كتبه علماء العربية في ذلك، فقد اعتمد مكي والداني على ما قاله علماء العربية في موضوع المخارج، فقال مكي: «اعلم أن سيبويه وأكثر النحويين يقولون: إن للحروف ستة عشر مخرجاً... وخالفهم

(١) ينظر: التحديد ص ٧٠ ـ ١٠٣.
(٢) التحديد ص ١٠٤ ـ ١١٧.
(٣) التحديد ص ١١٨ ـ ١٧٠.
(٤) التحديد ص ١٧١ ـ ١٧٩.

الْجَرْمِيُّ ومن تابعه، فقال: للحروف أربعة عشر مخرجاً»[١]، وقال الداني: «اعلموا أَنَّ قُطْبَ التجويد ومِلاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها... وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه، إذ هو الصحيح الْمُعَوَّلُ عليه»[٢]، ثم قال: «وزعم الفراء وقطرب والجرمي وابن كيسان أن مخارج الحروف أربعة عشر»[٣]، واعتمد ابن الجزري على مذهب الخليل في إفراد الحروف الجوفية بمخرج حين ذهب إلى أن المخارج سبعة عشر[٤].

أما صفات الحروف فإن علماء التجويد (الرعاية والتحديد مثالاً) لم يبتعدوا عما قرره علماء العربية بصددها، فالداني حين ذكر ست عشرة صفة لم يخرج على ما ذكره سيبويه من صفات[٥]، ومكي حين ذكر أربعة وأربعين لقباً للحروف[٦] لم يبتعد عما ذكره ابن جني في سر صناعة الإعراب من صفات[٧]، إلى جانب الألقاب العشرة التي لَقَّبَ بها الخليل الحروف بنسبتها إلى مخارجها[٨].

ولم يكن علماء التجويد ناقلين لكلام علماء العربية في المخارج والصفات فحسب، فقد كانت له زيادات متميزة في ذلك، حتى صار

---

(١) الرعاية ص ٢٤٣.
(٢) التحديد ص ١٠٤.
(٣) التحديد ص ١٠٦.
(٤) ينظر: النشر ١/ ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٥) ينظر: التحديد ص ١٠٧، والكتاب ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦، وينظر في بعض تلك الصفات: ٤/ ١٢٩ و١٧٤ و٤٤٨ و٤٦٤ و٤٦٦.
(٦) ينظر: الرعاية ص ١١٣ ـ ١٤٢.
(٧) ينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٧٤ ـ ٧٨.
(٨) ينظر: العين ١/ ٥٨.

علماء العربية ينقلون وجهات نظرهم في كتبهم، كما نجد عند أبي حيان الأندلسي في كتابه (ارتشاف الضرب من كلام العرب)، وأكتفي بنقل نص قصير يوضح ما أقول، قال أبو حيان: «المخرج الثاني: وسط الحلق، وهو للعين والحاء، وظاهر كلام سيبويه أن الحاء بعد العين، وهو نص كلام مكي بن أبي طالب، ويظهر من كلام المهدوي أن العين بعد الحاء، وهو نص أبي الحسن شريح»[(١)]. وقال أبو حيان وهو يتحدث عن صفة التكرير في الراء: «وظاهر كلام سيبويه أن التكرير صفة ذاتية للراء، وإلى هذا ذهب شريح، قال: وقد ذهب قوم من أهل الأداء إلى أن الراء لا تكرير فيها مع تشديدها، ولا نعلم وجهه، ولم أر أحداً من المحققين بالعربية ذكر أن تكريرها يسقط عنها جملة، انتهى. وبالتكرير قرأنا على من قرأ بشرق الأندلس، وبعدم التكرير البتة قرأنا على شيوخ غرناطة، وهو مذهب مكي وأبي عبد الله المعافى»[(٢)].

وليس أدل على الترابط بين علم التجويد وعلوم العربية من قول المرعشي (ت١١٥٠هـ)، وهو يتحدث عن موضوع علم التجويد وموقعه من العلوم: «قيل: موضوعه الكلمات القرآنية، يعني حروفها، وفيه نظر، لأنه يُبْحَثُ فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من علوم العربية، وداخل في التصريف، ولذا جُعِلَ جزءاً من بعض كتبه كالشافية..»[(٣)].

(١) ارتشاف الضرب ١/ ٥.
(٢) ارتشاف الضرب ص١/ ١١.
(٣) جهد المقل ص ١٠٩.

وخلاصة ما تدل عليه هذه الملاحظات التي ذكرتها عن نشأة علم التجويد، وأوائل المؤلفات فيه، وموضوعاتها ومناهجها، أن علم التجويد لم يبتعد عن علماء العربية، وعن جهودهم في الدرس الصوتي، وإذا كان علماء التجويد قد اعتمدوا أولاً على علماء العربية، فإن علماء العربية صاروا يأخذون عنهم في آخر الأمر، مؤكدين من خلال ذلك على الترابط والتكامل بين العلمين، فلماذا يُرَادُ اليوم قطع الصلة بين العلمين، وعن الإفادة من التقدم الحاصل في ميادين العلم في العصر الحديث، على الرغم من أن المشتغلين بعلم الأصوات اللغوية في زماننا قد غفلوا عما ورد في كتب علم التجويد من أفكار متميزة تستحق أن ينظر فيها ويستفاد منها في علم الأصوات اللغوية، لكن يبدو أن الجفوة بين العلمين قد حصلت من الطرفين، وهو ما ينبغي أن يعمل الفريقان على التخلص منه، ليحل التكامل والتعاون بين العلمين، من أجل خدمة القرآن الكريم واللغة العربية.

ثانياً: علم التجويد بين الرواية والدراية:

الرِّوَايَةُ لغةً مصدر الفعل رَوَىٰ يَرْوِي، يقال: رَوَىٰ الحديثَ والشعرَ يَرْوِيه رِوَايةً، حَمَلَهُ ونَقَلَهُ، وتَرَوَّاهُ، وقد رَوَّانِي إياه، ورَجُلٌ رَاوٍ، ورَاوِيَةٌ كذلك، إذا كَثُرَتْ روايته، والهاء للمبالغة، ويقال: رَوَّى فلانٌ فلاناً شعراً، إذا رَوَاهُ له حتى حَفِظَهُ[1].

والدِّرَايَةُ مصدر الفعل دَرَىٰ يَدْرِي، يقال: دَرَيْتُ الشيء أَدْرِيهِ:

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١٩/٦٦ ـ ٦٧ (روى).

عَرَفْتُهُ، وأَدْرَيْتُهُ غَيْرِي: إذا أَعْلَمْتُهُ، ويقال: يُصِيبُ وما يَدْرِي، ويُخْطِئُ وما يَدْرِي، أي إصابَتَهُ، أي هو جاهلٌ، إذا أخطأ لم يَعْرِفْ، وإذا أصاب لم يَعْرِفْ(١).

وتستعمل كلمة (الرواية) للدلالة على الحفظ للنصوص من قرآن ولغة وشعر، وتستعمل كلمة (الدراية) للدلالة على فهم القارئ للنصوص، والقدرة على إدراك القواعد التي تَحْكُمُها، والعِلَلِ التي تُفَسِّرُ ظواهرها، وفَرَّقَ المفسرون بين الفعلين (دَرَى وعَلِمَ)، فالعِلْمُ ما جاء عن غير كلفة، والدراية ما كان عن كلفة، قال الراغب الأصفهاني: «الدرايةُ: المعرفةُ الْمُدْرَكَةُ بضَرْبٍ مِنَ الْخَتْلِ»(٢)، وقال البيضاوي وهو يُفَسِّرُ قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] «وإنما جُعِلَ العِلْمُ لله تعالى والدرايةُ للعبد لأن فيها معنى الحِيلَةِ، فَيُشْعِرُ بالفرقِ بين العِلْمَيْنِ»(٣).

وهناك ترابط بين الرواية والدراية، لأن «الدراية موقوفة على الرواية، وكيف يقع نَظَرُ الناظر في حديثٍ قَبْلَ وصولهِ إليه، أو يَتَأَتَّى العلمُ بمعناه قبل الوقوف عليه، وهل يَثْبُتُ فَرْعٌ على غير أصلٍ في مقتضى القياس، أو يُرْقَى من غير سُلَّمٍ أو يُبْنَى على غير أساس»(٤).

(١) ينظر: المصدر نفسه ١٨/ ٢٧٨ (درى).
(٢) المفردات ص ١٧٥.
(٣) أنوار التنزيل ٢/ ٢/ ٢٣٢.
(٤) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ١٤/ ٢٥٥.

والرواية والدراية منهجان في دراسة العلوم، ولا يكاد علم من العلوم يخلو من الرواية، كما أنه لا يستغني علم عن الدراية، لكن بعض العلوم يغلب عليها أحد المنهجين، وهو ما نريد تتبعه بالنسبة لعلم القراءات والتجويد، حتى نتمكن من تحديد آفاق التطوير والتجديد الممكنة في علم التجويد.

ومن المعلوم أن علم قراءة القرآن الكريم يشمل علمين: علم القراءات، وعلم التجويد، فالقراءات «علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بِعَزْوِ الناقلة»(١)، والتجويد علم يُبْحَثُ فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الناشئة عن التركيب(٢).

وذهب بعض العلماء إلى نسبة علم القراءات إلى الرواية، وعلم التجويد إلى الدراية، فقد قال مكي في كتاب (الرعاية) وهو يشير إلى كتب القراءات: «فتلك الكُتُبُ كُتُبٌ تُحْفَظُ منها الروايةُ المختلَفُ فيها، وهذا الكتابُ يُحْكَمُ فيه لَفْظُ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كُتُبُ روايةٍ، وهذا كتاب دِرَايَةٍ»(٣). وقال مكي في وصف كتابه (الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها): «فلا غَنَاءَ لمن كَتَبَ كتابنا هذا واعتمد عليه عن الكتاب الأول الذي هذا شرحه: كتاب التبصرة، فهذا الكتاب [يريد: الكشف] كتابُ فَهْمٍ وعِلْمٍ ودِرَايَةٍ، والكتابُ الأول [يريد التبصرة] كتابُ نَقْلٍ ورِوَايَةٍ»(٤).

---

(١) ابن الجزري: منجد المقرئين ص ٣.
(٢) ينظر: المرعشي: جهد المقل ص ١٠٩.
(٣) الرعاية ص ٢٢٦.
(٤) الكشف ١/٦.

وإذا كانت الدراية تعني إعمال الفكر وبذل الجهد في فهم الموضوعات، واستنباط الضوابط، ووضع القواعد، وتوجيه الظواهر وتفسيرها، والاحتجاج لها، فإن أكثر ذلك يعتمد على علم العربية من نحو وصرف، ولا يعني وصف كتب القراءات بأنها كتب رواية أن المشتغل بعلم القراءات يستغني عن الدراية، فقد ذكر ابن مجاهد، وهو يتحدث عن المشتغلين بعلم القراءات، أنَّ مَن يَصِحُّ أَخْذُ القراءات عنه لابد أن يكون متقناً لعلوم العربية، وذلك في قوله: «لا تَغْتَرُّوا بكل مقرئ، إذ الناس طبقات:

فمنهم مَن حَفِظَ الآية والآيتين والسورة والسورتين، ولا علم له غير ذلك، فلا تؤخذ عنه القراءة، ولا تُنْقَلُ عنه الرواية، ولا يقرأ عليه.

ومنهم مَن حَفِظَ الروايات، ولم يعلم معانيها، ولا استنباطها من لغات العرب ونحوها، فلا تؤخذ عنه، لأنه ربما يُصَحِّفُ.

ومنهم مَن تَعَلَّمَ العربية، ولا يَتَّبِعُ الأثر والمشايخ في القراءة، فلا تُنْقَلُ عنه الرواية، لأنه ربما حَسَّنَتْ له العربية حرفاً ولم يُقْرَأ به، والرواية مُتَّبَعَةٌ، والقراءة سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ من الأول.

ومنهم مَن فَهِمَ التلاوة، وعَلِمَ الرواية، وأخذ حَظّاً من الدراية: من النحو واللغة، فَتُؤْخَذُ منه الرواية، ويُقْصَدُ للقراءة، وليس الشرط أن يجتمع فيه جميع العلوم، إذ الشريعة واسعة والعمر قصير، وفنون العلم كثيرة ودواعيه قليلة، والعوائق معلومة، تشغل كل فريق بما يعنيه»[(١)].

(١) نقلاً عن ابن الجزري: منجد المقرئين ص ٥، علماً أن معنى ما نقله ابن الجزري مذكور في كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤٥ ـ ٤٦، لكني آثرت نقل ما في المنجد لوجازته.

وأَحْسَنَ ابن الطحان حين قال في مَن اشتغل بالرواية وأهمل الدراية: «فماذا تنفعُ القارئَ الروايةُ، إذا قَصَّرَتْ به الدراية، فهو يواقع اللحن في كل حين، ولا عُذْرَ له في جهالته عند أنصار الدين»[١].

ومن هنا أوجب العلماء على المشتغلين بعلم القراءات والتجويد إتقان علوم العربية، فقال الداني: «وهذا كله، وسائر ما ذكرناه قبل، لا تتمكن معرفته للقراء إلا بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من آكَدِ ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه»[٢]. وقال الأندرابي: «فمن الواجب على مَن قرأ القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في طلب العربية وتَعَلُّمِ الإعراب»[٣]. وقال أبو العلاء العطار: «ثم اعلم أن ما ذكرناه من الْحِذْقِ بالأداء، وما لم نذكره من مذاهب القراء، لا يوقف عليه، ولا يوصل إلى كيفيته إلا بإتقان العربية ومقاييسها، ومعرفة وجوه القراءات وروايا‌تها»[٤].

وأحسب أَنَّ للقول بأن علمَ القراءات علمُ رواية وأَنَّ علمَ التجويد علمُ دراية ـ جانباً آخر، وهو أن باب الاجتهاد في مسائل علم التجويد مفتوح، ولا مجال للاجتهاد في علم القراءات، فالقراءة سُنَّةٌ متبعة يأخذها الآخِرُ عن الأول، وهو ما يُفْهَمُ من أقوال عدد من علماء القراءة والتجويد، من ذلك ما نقله العماني: «والناس متفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم مَن يعرفه قياساً وتمييزاً، فذلك الحاذقُ الفَطِنُ،

(١) نظام الأداء ص ٢١.
(٢) التحديد ص ١٧٨.
(٣) الإيضاح ص ٢٧٨.
(٤) التمهيد ص ١٩٠.

ومنهم من يَعْرِفُهُ سماعاً وتقليداً، والعلمُ فِطْنَةً ودرايةً آكَدُ منه سماعاً وروايةً»[١].

وقال مكي: «وقد وَصَفَ مَن تقدَّمنا من علماءِ المقرئين من القراء[٢] فقال: القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم مَن يعمله رواية وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذقُ الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً، فذلك الوَهِنُ الضعيف، لا يلبث أن يَشُكَّ ويدخله التحريف والتصحيف، إذ لم يَبْنِ على أصل، ولا نَقَل عن فهم.

قال: فنَقْلُ القرآنِ فطنةً ودرايةً أحسنُ منه سماعاً ورواية.

قال: فالرواية لها نقلها، والدراية لها ضبطها وعلمها.

قال: فإذا اجتمع للمقرئ النقلُ والفطنة والدراية وَجَبَتْ له الإمامة، وصحت عليه القراءة، إن كان له مع ذلك ديانة»[٣].

وقال الداني في مقدمة كتابه التحديد وكأنه يعيد صياغة ما تقدم: «وقُرَّاءُ القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياساً وتمييزاً، وهو الحاذق النَّبِيهُ، ومنهم من يعلمه سماعاً وتقليداً، وهو الغَبِيُّ الفَهِيهُ، والعلمُ فطنةً ودرايةً آكَدُ منه سماعاً ورواية، فللدرايةِ ضَبْطُها ونَظْمُهَا، وللروايةِ نَقْلُها وتَعَلُّمُهَا، والفضلُ بيدِ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[٤].

---

(١) الكتاب الأوسط ص ٧٥.

(٢) في النسخة المطبوعة من الرعاية (ص٨٩): (من علماء المقرئين ـ الفراء)، وذكر المحقق في الهامش أنها في الأصل: (علماء المقرئين من القراء)، وقد أثبتها كما وردت في مخطوطة الرعاية المحفوظة في مكتبة الأوقاف في الموصل، رقمها (٢/ ٢٢ مدرسة الحجيات) الورقة ٨٤.

(٣) الرعاية ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٤) التحديد ص ٦٧.

وتتعدد وسائل الدراية في دراسة علم التجويد وتناول موضوعاته، وهو ما نريد الإشارة إليه هنا، وننطلق منه أن باب الاجتهاد في تناول موضوعات التجويد ما زال مفتوحاً، وأن استعمال بعض حقائق علم الأصوات اليوم في تفسير ظواهر النطق أمر ممكن، إن لم يكن مطلوباً، كما أن ما أحرزه العلم في مجال التشريح يمكن أن يستعان به في الكشف عن أسرار الصوت الإنساني وكيفية حدوثه، ولنا في اختلاف علماء التجويد من المتقدمين والمتأخرين في فهم كثير من المسائل التي تتعلق بمخارج الحروف، وصفاتها، والظواهر الصوتية الناتجة عن التركيب، دليلٌ على أن باب الاجتهاد في دراسة علم التجويد لم يُغْلَقْ، فليس المتقدمون أولى من المتأخرين في ذلك.

ولست في هذا المبحث بصدد الوقوف عند أمثلة لِمَا كان بين المتقدمين من تَعَدُّدٍ في وجهات النظر في كثير من المسائل، ففي المحاور الآتية من هذه الحلقة النقاشية ما يبين ذلك، ولكني أَلْفِتُ أنظار الباحثين والمهتمين بقضايا علم التجويد وتعليم التلاوة إلى أنه ينبغي عدم الحيلولة بين الدارسين والمتعلمين والوسائل الحديثة في دراسة الأصوات اللغوية، وأن في طبيعة علم التجويد وتاريخه ما يدل على ذلك، ويدعو إليه.

ثالثاً: فروع علم الأصوات اللغوية:

يدرس علم اللغة الحديث مكونات اللغة الإنسانية ضمن عدد من المستويات، تُشَكِّلُ فروع علم اللغة، وقد تسمى علوم اللغة، ومن أشهرها[(١)]:

---

(١) ينظر: ماريو باي: أسس علم اللغة ص ٤٣ ـ ٤٤، وكمال محمد بشر: دراسات في علم اللغة ص١٢ ـ ١٤.

١ ـ علم الأصوات Phonetics، وموضوعه دراسة أصوات اللغة.

٢ ـ علم الصرف Morphology، وموضوعه دراسة الأبنية أو الكلمات.

٣ ـ علم النحو Syntax، وموضوعه دراسة التراكيب أو الجمل.

٤ ـ علم الدلالة Semantics، وموضوعه دراسة المعنى، من جهة الدلالة المعجمية، والدلالة السياقية.

وهناك مؤلفات تدرس اللغة في مستوى واحد من هذه المستويات، وأخرى تتناولها جميعاً، في لغة واحدة أو في مجموعة لغات، وليس هذا النوع من الدراسات جديداً في تراثنا اللغوي العربي، لكن التقدم العلمي جاء بمناهج جديدة في دراسة اللغات وتعليمها، وليس غرضنا في هذا المقام الحديث عن أهمية تلك المناهج بالنسبة لدراسة اللغة العربية، والتي قد تختلف فيها الآراء، وتتعدد حولها الأقوال، لأنها تعتمد في كثير من مادتها وأسسها على الدراسة النظرية والتحليل العقلي، وإنما غرضنا الحديث عن أهمية علم الأصوات والدراسات الصوتية اللغوية الحديثة في دراسة علم التجويد وتعليمه، وأحسب أنه لا ينبغي أن تختلف في ذلك الآراء، لأنه علم يقوم على الدراسة المعملية، ويعتمد على الأجهزة التي تُحَلِّلُ الظواهر الصوتية بموضوعية تامة، لا تتعدد فيها وجهات النظر.

والصوت اللغوي الذي تقوم عليه اللغة في جميع مظاهرها جزء من ظاهرة كونية أعم، هي ظاهرة الصوت أَيّاً كان مصدره، ومهما كانت وظيفته، واللغة أصوات يُعَبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم، كما قال ابن

جني[١]، وتتقاسم دراسة الأصوات عامة والصوت اللغوي خاصة علوم جديدة متعددة، فمنها ما يهتم بدراسة مصدر الصوت، ومنها ما يهتم بدراسة انتقال الصوت من مصدره إلى أذن السامع، ومنها ما يهتم بدراسة ما يحدث للصوت بعد وصوله إلى أذن السامع وانتقاله إلى مركز التفكير لدى الإنسان لتفسير الرسالة التي يحملها والمعنى الذي يدل عليه، ومن ثم نشأت ثلاثة فروع علمية لدراسة هذه الجوانب المتعلقة بالصوت الإنساني[٢]. وهذا تعريف موجز بها[٣]:

١ ـ علم الأصوات النطقي، أو الفسيولوجي:

(Articulatory or physiological phonetics)

ويدرس هذا الفرع أعضاء آلة النطق، وحركات تلك الأعضاء من أجل إنتاج أصوات الكلام، وتحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تُشَكِّلُ الصوت[٤]، وهذا الفرع هو أقدم فروع علم الأصوات، وأرسخها قدماً، وأكثرها حظاً من الانتشار في البيئات اللغوية كلها، ويرجع ذلك إلى وظيفة هذا الفرع، وإلى طبيعة الميدان المخصص له، وهذا الميدان سهل المنال بالملاحظة الذاتية والممارسة الشخصية، بطريقة ذوق الأصوات ونطقها مرة بعد أخرى، وتحديد نقاط النطق، وتعيين حركات أعضاء آلة النطق، وكلها أمور في مقدور الباحث العادي، وليست في حاجة إلى عناء كبير، أو تدريب شاق،

(١) ينظر: الخصائص ١/ ٣٤.
(٢) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص ٤١.
(٣) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص ٤٢.
(٤) ينظر: ماريو باي: أسس علم اللغة ص ٤٧.

ومعظم الأعضاء التي تشترك في إصدار الأصوات تخضع لنظر العين المجردة، أو يمكن ملاحظتها بمساعدة آلات يسيرة، ومن ثم كانت الدراسات الصوتية في العصور القديمة مبنية في أساسها على هذا النوع من الدرس، بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها في وقت لم تكن الوسائل الآلية قد عُرِفَتْ، وكان الدرس الصوتي العربي القديم مثالاً ممتازاً لهذا الضرب من الدراسة.

وقد أتاح التقدم العلمي في مجال علم وظائف الأعضاء physiology، وعلم التشريح Anatomy، لعلم الأصوات النطقي أن يخطو خطوات بعيدة المدى في دراسة أعضاء آلة النطق، وكيفية إنتاج الأصوات اللغوية، فاستعان الدارسون بهذه العلوم في التعرف الدقيق على العملية النطقية والكشف عن الكثير من أسرارها[(١)].

٢ ـ علم الأصوات الفيزياوي، أو الأكوستيكي:

Acoustic or physical phonetics

الصوت أَثَرٌ سمعيٌّ ناتجٌ عن جسمٍ يَهْتَزُّ يؤدي إلى سلسلة من التغيرات في ضغط الهواء، وكل تغير في الضغط يسمى ذبذبة، والذبذبة الواحدة هي حركة الجسم في اتِّجَاهٍ ما ثم عودته في الاتجاه المعاكس، حتى يعود إلى الموضع الذي بدأ الحركة منه، ويقاس الصوت الناتج من ذلك بعدد الذبذبات في الثانية الواحدة، ويسمى التردد، وعندما تتحرك جزئيات الهواء تحت تأثير اهتزاز الجسم يتولد

---

(١) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص ٤٦ ـ ٤٨، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٩٧، ومنصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص ١٤.

ما يسمى بالموجة الصوتية، لكن ذلك لا يعني تحرك الهواء ذاته، فالموجة الصوتية تنتشر في الهواء بسرعة **٣٤٠** مترًا في الثانية الواحدة، وذلك بأن تضغط جزئيات الهواء المجاورة للجسم المهتز على ما يليها، فتنتقل الموجة الصوتية بالاتجاهات كافة، من غير أن تتحرك جزيئات الهواء من موضعها، فإن صادفت تلك الموجة أذن السامع أحس بها، على مقدار ما فيها من قوة، علماً أن الأذن البشرية يمكنها سماع الأصوات التي يتراوح ترددها بين عشرين ذبذبة في الثانية إلى عشرين ألف ذبذبة في الثانية(١).

وعلم الصوت الفيزياوي حديث العهد بالوجود نسبياً، ووظيفته دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء، والناتجة عن تذبذب ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز، وكان للتقدم العلمي في مجال علوم الطبيعة فضل في تعريف اللغويين بكثير من خواص الأصوات وطبيعتها، بعد اعتماد المتخصصين في هذا المضمار على أجهزة مختلفة تقوم بتحويل الموجات الصوتية إلى ترددات كهربائية يتم عرضها على شاشات الحاسوب أو طباعتها على الورق، ومن ثم تحليلها ودراستها(٢).

---

(١) اختلفت المصادر في تحديد التردد الذي يمكن للأذن أن تستقبله، فورد في بعضها أرقام أقل من ذلك، ينظر: أمجد عبد الرزاق كرجية: فيزياء الصوت والحركة الموجية ص ٣٤ ـ ٣٧، ومالمبرج: علم الأصوات ١٢، وسعد عبد العزيز مصلوح: دراسة السمع والكلام ص ١٧ ـ ٢٤، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٢٠ ـ ٢٧، ومنصور بن محمد الغامدي: صوتيات العربية١٠٨ ـ ١١٠.

(٢) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص ٤٦ ـ ٤٧، ومنصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص ١٥.

يقول الدكتور كمال محمد بشر: وقد أحدث علم الأصوات الفيزياوي ثورة في الدرس الصوتي، وذلك بتقديم وسائل جديدة لدراسة الأصوات ووصفها، وقد استطاعت هذه الوسائل أن تقدم العون للدارسين في صور ثلاث:

١ ـ الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لهم من قبل.

٢ ـ تعديل مناهج الدرس وطرقه، وتغيير ملحوظ في آراء الدارسين، وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

٣ ـ تأييد بعض الحقائق التي توصلوا إليها بالطرق التقليدية، وتأكيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق(١).

ونجد اليوم عدداً من الكتب المؤلفة أو المترجمة في علم الأصوات الفيزياوي، ولا تخلو كتب علم الأصوات اللغوية الحديثة الأخرى من مباحث تُعَرِّفُ بهذا العلم، وتبين الجوانب التي يمكن أن تسهم من خلالها في تفسير الظواهر الصوتية اللغوية.

٣ ـ علم الأصوات السمعي Auditory phonetics:

يُعَدُّ هذا العلم من أحدث فروع علم الأصوات اللغوية، وهو يهتم بالعملية التي تبدأ بوصول الموجات الصوتية إلى الأذن، حتى إدراكها في الدماغ، ولتلك العملية جانبان: جانب عضوي، وجانب نفسي، أما الأول فوظيفته النظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع وفي عمل الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات، ويركز الثاني على البحث في تأثير هذه الذبذبات على

(١) علم الأصوات ص ٥٠.

أعضاء السمع الداخلية، وفي عملية إدراك السامع للأصوات، وكيفية حصول هذا الإدراك[١].

إن عملية إدراك الأصوات اللغوية في الأذن تعمل باتجاهٍ يقابل عملية إنتاج الأصوات اللغوية، فإذا كانت عملية إنتاج الصوت اللغوي تبدأ بإرسال إشارات عصبية من الدماغ إلى عضلات الجهاز الصوتي، لتقوم بالانقباض بحيث تؤثر على الهواء الخارج من الجهاز التنفسي، مُصْدِرَةً بذلك موجات صوتية، فإن عملية السمع تبدأ بوصول الموجات الصوتية إلى طبلة أذن السامع وتحويلها من طاقة فيزيائية (موجات صوتية) إلى طاقة حركية، ثم تحويل تلك الطاقة الحركية في الأذن الداخلية إلى نبضات كهربائية، تنتقل عبر العصب السمعي إلى الدماغ، ليقوم بالتعرف على تلك الأصوات وتحديد معناها، والاستجابة لما تتطلبه من ردود أفعال[٢].

وقد خَطَتِ الدراسة في هذا الفرع خطوات مؤكدة، غير أن الاهتمام به لم يزل محصوراً في دائرة ضيقة، هي دائرة المتخصصين تخصصاً دقيقاً والمؤهلين تأهيلاً علمياً يتناسب وعملهم في معالجة أمراض السمع والنطق، وقدرتهم على التعامل مع الأجهزة التي يحتاجها هذا التخصص، وهي ليست متاحة لِلُّغَوِيِّ، أو هو غير قادر على التعامل معها بطريقة تضمن له الدقة في عمله، ومن ثم ليس من الغريب أن

---

(١) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص ٤٢ ـ ٤٣، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) ينظر: منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص ١٧، و١٣٩، وبيتر لادفوجد: عناصر صوتيات موجات الكلام ص ١٣ ـ ١٤.

تتخلف الدراسة في علم الأصوات السمعي عن مثيلاتها في الفرعين الآخرين، وهما علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزياوي[١].

رابعاً: أي فروع علم الأصوات أكثر فائدة للمشتغلين بعلم التجويد؟

إن الهدف من هذا العرض لفروع علم الأصوات اللغوية هو التمهيد للإجابة على التساؤل المتعلق بموضوع هذه الحلقة، وهو ما مدى حاجة دارس التجويد ومتعلمه إلى هذه العلوم، وما مقدار إفادته منها، وما هو الفرع الأكثر فائدة له، والأقرب في التناول إليه؟

إن التداخل بين العلوم اللغوية والعلوم الأخرى المتعلقة بأعضاء جسم الإنسان ووظائفها مما يختص به الأطباء، والتداخل بين دراسة الأصوات اللغوية ودراسة ظاهرة الصوت في الطبيعة، والتقنيات الحديثة المتعلقة بأجهزة الاتصال، التي يختص بها العاملون في الهندسة الإلكترونية وهندسة الاتصالات، يُصَعِّبُ على اللغوي التعامل مع كل هذه العلوم التي يبذل المختصون فيها سنين طويلة للتمكن منها، ولكن ذلك يجب أن لا يمنع من الإفادة من معطيات تلك العلوم التي تخدم دراسة الأصوات اللغوية، وأن يثير ذلك حماس المشتغلين بعلم الأصوات اللغوية للاقتراب من تلك العلوم، والتعرف عليها، وعقد الشراكات العلمية مع المختصين بها.

إن النظر في كتب هذه العلوم والقراءة فيها يثير قدراً كبيراً من

---

(١) ينظر: كمال محمد بشر: علم الأصوات ص ٤٣ ـ ٤٤.

المتعة الفكرية والوجدانية، ويكشف عن أسرار الخلق، ويُبَيِّنُ عظمة الخالق سبحانه، شأنها في ذلك شأن العلوم الأخرى التي تدرس عالم الحيوان والنبات، والفلك، والظواهر الطبيعية الأخرى، لكن القراءة في تلك العلوم تكتنفها عوائق قد تكبر حتى تحول بينها وبين القارئ، وقد تصرفه عنها، حين يشعر بالعجز عن متابعة ما فيها، أو يشك في جدوى الفائدة منها.

إن فروع علم الأصوات اللغوية تتفاوت في قربها من المشتغلين بعلوم اللغة، وإمكانية إفادتهم منها، لأمور تتعلق بطبيعة تلك العلوم، وأمور تتعلق بالإعداد العلمي لهم، الذي لا يؤهلهم للتوغل في فهم أسرارها، فصعوبة دراسة علم الأصوات السمعي بالنسبة للمشتغلين بعلوم اللغة تحول بينهم وبين تسخير معطيات هذا العلم في خدمة علم الأصوات اللغوية، ومن ثم فإنه من النادر أن نجد بحثاً صوتياً عاماً أو بحثاً لغوياً عاماً يعرض لهذا العلم ومشكلاته[(١)]، وقد يكون الجهل بعلم الأصوات السمعي، أو عدم الإلمام بمباحثه أقل ضرراً من الجهل بالعِلْمَيْنِ الآخَرَيْنِ.

ولا شك في أن التعامل مع علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزياوي أيسر من التعامل مع علم الأصوات السمعي، لكن علم الأصوات الفيزياوي يبدو أكثر صعوبة، لأنه يحتاج إلى معرفة علمية متخصصة دقيقة، «ولا يمكن الاقتراب منه من دون تحضير رياضي متين»[(٢)]. أما علم الأصوات النطقي فإنه ألصق بالدراسات الصوتية

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٤٤.

(٢) فندريس: اللغة ص ٤٠.

اللغوية، ولا يشق على الدارسين له الإفادة من نتائج الدراسات التي يقوم بها أهل التشريح، والتعامل مع الأجهزة التي تساعد في تحديد مخارج الحروف أو تكشف عن صفات الأصوات، وهو ما سنحاول تقديم أمثلة عليه في المحاور القادمة من هذه الحلقة.

وأحسب أنه من المفيد الإشارة في هذه العجالة إلى عدد من الأمثلة التي تبين أهمية الإلمام بعلم الأصوات الفيزياوي لدارس التجويد ومتعلمه، ومعرفة بعض القوانين التي تتحكم في ظواهر الصوت، مما يسهم في فهم الأحكام وييسر تعلمها، وقد تفتقر هذه الأمثلة إلى الدقة العلمية في بعض جوانبها، لعدم تخصص المتحدث إليكم بمثل هذه الأمور، لكنها يمكن أن تقدم أمثلة يمكن الاستئناس بها والبناء عليها، وقد تَرِدُ إشارات في المحاور اللاحقة تتعلق بالجانب الفيزياوي للصوت، لكني أود ذكر أمثلة محددة في آخر حديثي عن أهمية هذا العلم في دراسة الأصوات عامة، وعلم التجويد خاصة، وسأذكر مثالين، كل مثال يتعلق بقضية معينة.

المثال الأول: سبب اختلاف الجرس الصوتي لكل فرد:

قد تبدو هذه المسألة ليست ذات بعد تطبيقي، لكنها مهمة في الإجابة على التساؤل الذي يمكن أن يثار في نفوس المتعلمين عن سبب رقة صوت بعض الأشخاص، وغِلَظِهِ عند آخرين، وهذه ظاهرة يضع لها بعض الباحثين عنواناً خاصاً، هو البصمة الصوتية، فلكل واحد منا بصمة صوتية تميزه عن غيره من البشر[١]، مثلما أن لكل واحد منا بصمة متميزة لأصابعه.

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٧.

وتتلخص العوامل التي تجعل صوت كل واحد منا متميزاً عن الآخرين في ثلاثة أمور، هي: درجة الصوت، وشِدَّتُهُ، ونوع مصدره[(١)].

١ ـ **درجة الصوت**، وهي تعتمد على التردد، ويقصد به عدد الذبذبات التي ينتجها مصدر التصويت في الثانية الواحدة، فإذا زادت ازداد الصوت حِدَّةً، ويسمى الصوت حاداً أو رقيقاً، وإذا قَلَّتِ الذبذبات كان الصوت سميكاً أو غليظاً، وتتوقف درجة صوت المرء على سِنِّهِ وجِنْسِهِ، فالأطفال والنساء أَحَدُّ أصواتاً من الرجال، وذلك لأن الوترين الصوتيين عند الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة، ويؤدي ذلك إلى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية[(٢)].

٢ ـ **شِدَّةُ الصوت**، أو عُلُوُّهُ، وهي تعتمد على سعة الذبذبة، وتتوقف على مقدار القوة التي جَعَلَتْ مصدر الصوت يتذبذب، وتتمثل عند الإنسان بشدة ضغط الحجاب الحاجز وعضلات الصدر على الرئتين، ومقدار توتر أعضاء النطق فوق الحنجرة، وكلما ازدادت سعة الذبذبة ازدادت شِدَّة الصوت، وكان عالياً، وكلما قَلَّتْ سَعَةُ الذبذبة انخفضت شدة الصوت وكان الصوت خفيضاً[(٣)].

---

(١) ينظر: بيتر لادفوجد: عناصر صوتيات موجات الكلام ص ٢٧، وسمير شريف إستيتية: اللسانيات ص ٤٦، وجون بيرنثال: الاضطرابات النطقية والفونولوجية ص ٥٩.

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ٨، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٦٠، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠ ـ ٣١.

(٣) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص ١٠، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٦٠، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠.

٣ ـ **نوع مصدر الصوت**، فقد يختلف نوع الصوت بالاختلاف النسبي بين أعضاء النطق من شخص لآخر، فقد يكون هذا واسع الفم، أو ضيق الحنجرة، أو غليظ الشفتين، أو نحو ذلك، فلو فرضنا تساوي درجة الصوت وشدته في نطق شخصين فإن ذلك لا يعني تشابه الصوتين، وذلك بسبب اختلاف طبيعة أعضاء النطق بينهما، والتي تؤدي إلى تباين صوتيهما[(١)].

المثال الثاني: سر الفرق الصوتي بين النون والميم:

لا يخفى عليكم أن النون والميم يشتركان في صفة الأنفية، أو الغنة، وهي جريان النغمة الحنجرية التي هي مصدر صوت الحرفين من الأنف، وإذا كان مصدر صوت الحرفين واحداً ويخرج من التجويف الأنفي، فإن المتوقع أن يكون جرسهما واحداً، فما الذي جعل جرسهما مختلفاً في السمع؟، قد لا يكفي القول بأن مخرجهما مختلف، فموضع اعتراض النفس مع النون طرف اللسان مع اللثة، وموضع اعتراض النفس مع الميم هو الشفتان، لأن مصدر الصوتين واحد وهو الوتران الصوتيان، ومجرى النفس فيهما واحد، وهو التجويف الأنفي.

ويرتبط اختلاف جرس الصوتين في السمع بظاهرة صوتية فيزياوية، هي المسماة بالرنين، وهي أن نجعل جسماً مُهْتَزّاً يُسَبِّبُ اهتزازاتٍ في جسم آخر[(٢)]، فالتجويف الفموي يُشَكِّلُ حُجْرَةَ رنين تستجيب للموجة

(١) ينظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص ١٥٦، وبيتر لادفوجد: عناصر صوتيات موجات الكلام ص ٣٧ ـ ٤١، ومنصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص١٠٨.

(٢) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢، وبيتر لادفوجد: عناصر صوتيات موجات الكلام ص ٧٣ ـ ٧٤.

الصوتية الصادرة من الوترين الصوتيين، فتتأثر بذلك الموجة الصوتية المتجهة إلى الخارج عن طريق التجويف الأنفي، ونظراً لاختلاف شكل حجرة الرنين (أي الفراغ الكائن في تجويف الفم) عند النطق بالصوتين فإن جرس الصوتين سوف يكون مختلفاً، لاختلاف حجرة الرنين المصاحبة لنطق الصوتين، وهكذا يختلف أيضاً صوت النون المخفاة باختلاف الحرف الذي تخفى فيه، لاختلاف حجرة الرنين مع كل حرف من حروف الإخفاء[١].

تعريف بعدد من أجهزة علم الصوت الفيزياوي:

لا تقف أهمية علم الأصوات الفيزياوي عند هذه الحدود، فإن لكل صوت لغوي مسموع موقعاً في هذا العلم، سواء من ناحية قياس درجته، أم شدته، أم زمنه، على نحو أقرب إلى الدقة من أي وقت مضى، وذلك من خلال الأجهزة الحديثة التي أتاحها التقدم العلمي للعاملين في هذا المجال، وليس الغرض هنا استقصاء كل ما يتعلق بهذا الأمر، فإنه تضيق به هذه الصفحات، ويعجز محدثكم عن الخوض في غماره، وحسبي هنا الإشارة من بعيد إلى ذلك العالم الجديد، وحسبي عرض صورة لأشهر جهازين عند المشتغلين بهذا العلم، وهما:

١ ـ راسم الذبذبات Oscilloscope:

يقوم راسم الذبذبات بتحويل الطاقة الصوتية إلى طاقة كهربائية، تُعْرَضُ مع عامل الزمن على شاشة عرض صغيرة، حيث تظهر التغييرات في شدة الصوت، ويمكن تحديد زمن الذبذبة، وما إذا كان

(١) ينظر: منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص ١٣٠، وصلاح حسنين: المدخل في علم الأصوات المقارن ص ١١ ـ ١٢.

الصوت مجهوراً أم مهموساً، ومعرفة التردد الأساس للوترين الصوتيين، وهذه صورته:

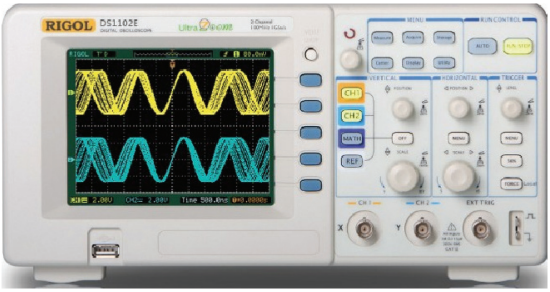

٢ ـ المطياف Spectrograph:

يُقَدِّمُ المطياف ثلاثة أبعاد للموجة الصوتية المرسومة، وهي: التردد، والشِّدَّة، والزمن، وهذا يُعِينُ الباحثَ في معرفة زمن الصوت، والتردد الأساس، والشِّدَّة، ويفيد المطياف في دراسة المصوتات أيضاً، إذ الفرق الأساسي بين أغلب المصوتات هو فارق طيفي، وتطورت صناعة المطياف بسرعة وظهرت منه عدة أجيال، وهي تشترك جميعاً في عرض موجات الصوت الكلامية بأبعادها الثلاثة، وهذه صورته:

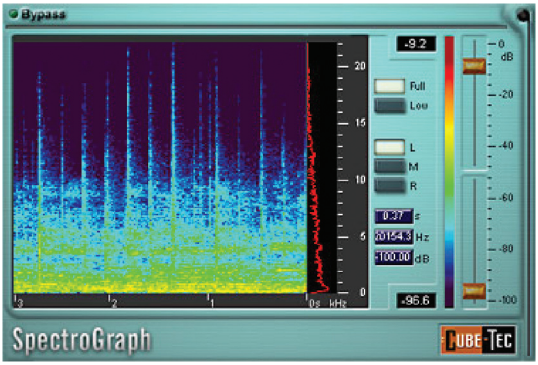

خلاصة واستنتاج:

خلاصة القول في ختام هذا المحور أني أردت لفت الأنظار في هذه المباحث التاريخية والمنهجية إلى أن هنالك تلازماً بين مباحث علم التجويد ومباحث علم العربية، فعلم التجويد سليل مباحث علماء العربية الصوتية، وهو الوريث الوفي الذي طَوَّرَ هذه المباحث لتكون عِلْماً له موضوعاته ومؤلفاته، وتراكمت من خلال تلك المباحث أفكار صوتية رائعة، جاءت الدراسات الصوتية الحديثة لتؤكد صحتها ودقتها، وهناك قواسم مشتركة بين موضوعات علم التجويد وموضوعات علم الأصوات، وفي فروع علم الأصوات اللغوية من المباحث المفيدة التي على المشتغلين في علم التجويد استثمارها في خدمة المتعلمين للتجويد والدارسين له.

وقد يكون من التفريط الكبير إهمال المشتغلين بعلم التجويد وإقراء القرآن الكريم في زماننا ما تحقق من تقدم علمي كبير في دراسة الصوت الإنساني، شأنه في ذلك شأن العلوم الأخرى، ولا تعني الدعوة إلى الإفادة من علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد وتعليمه أن تُغَيَّرَ تلاوة القرآن، أو تكون هذه الدراسات مصدراً لتغيير القراءة، وإنما القصد هو الإفادة من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث في فهم طبيعة الصوت اللغوي، وتفسير الظواهر الصوتية في التلاوة تفسيراً علمياً، يُسَهِّلُ فَهْمَهَا، ويُيَسِّرُ تَعَلُّمَهَا.

وإذا كان الكثير من المشتغلين بعلم التجويد اليوم بعيدين عن الدراسات الصوتية فإنهم مدعوون للاقتراب من تلك الدراسات والإفادة منها، وآمل أن يأتي اليوم الذي يكونون فيه روَّاداً لهذه

الدراسات، يجيدون التعامل مع الوسائل الحديثة لتحليل الصوت اللغوي، حتى نخرج من شعور التحفظ من هذه الدراسات لارتباطها بمصادر أجنبية عن تراثنا العلمي وحضارتنا، وننتقل إلى مرحلة الريادة في إنتاج الجديد في هذه الدراسات.

وسوف أعرض في المحاور اللاحقة عدداً من موضوعات علم التجويد برؤية صوتية حديثة، لَعَلِّي أُوَفَّقُ في توضيح ما أسعى إليه وما أرجوه من تقديم هذه الحلقة، إن شاء الله تعالى.

المحور الثاني

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية والمخارج والصفات

المحور الثاني

أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية والمخارج والصفات

تَتَعَدَّدُ مصادر الأصوات في الطبيعة، وما يهم دارس الأصوات اللغوية هو الأصوات التي يُصْدِرُهَا جِهاز النطق لدى الإنسان، وليس جميع ما يصدره هذا الجهاز يُعَدُّ صوتاً لغوياً، فالضحك والبكاء، والأنين، والشخير ونحوها، أصوات تصدر عن آلة النطق لدى الإنسان لكنها ليست أصواتاً لغوية، لكونها لا تدخل في تركيب الكلمات الدالة على المعاني، ولم يهتم علماء العربية الأوائل والرواد من علماء التجويد كثيراً بكيفية حدوث الصوت الإنساني، وتركزت عنايتهم بالأصوات الصادرة من مخارجها، وما يصاحبها من صفات، وتأثر بعضهم بما ذهب إليه فلاسفة المسلمين في كلامهم على الصوت وكيفية صدوره، ونقل عدد من علماء التجويد ذلك عنهم، وتسلل شيء منه إلى كتب التجويد المعاصرة.

وليس كل ما قاله المتقدمون عن الصوت غير صحيح، فإن قسماً منه يوافق ما توصل إليه العلم الحديث، لكن قد تفتقر بعض صياغاتهم إلى الدقة في التعبير، والتي تؤثر على وضوح الفكرة لدى المتعلم، ومن ثم فإن مراجعة ذلك في ضوء ما أحرزه علم الأصوات النطقي من

حقائق تتعلق بآلية إنتاج الصوت وتنوعه أمر ضروري، ليساعد ذلك دارس التجويد ومتعلمه على إدراك حقيقة الصوت وطريقة تكونه وتنوعه، وهو ما يُسْهِمُ في فهم طبيعة الأحكام الصوتية في القراءة القرآنية وتفسيرها، وسوف أتحدث في هذا المحور عن أهم المسائل المتعلقة بإنتاج الصوت اللغوي، ومخارج الحروف وصفاتها.

أوَّلاً: آلية إنتاج الصوت اللغوي:

كانت للفلاسفة المسلمين مشاركة في دراسة الصوت بصفته ظاهرة طبيعية، من خلال معارف عصرهم، وكتب أبو علي بن سينا (ت٤٢٨هـ) رسالته في (أسباب حدوث الحروف)، وكان لأبحاث هؤلاء الفلاسفة تأثير على تعريف الصوت وكيفية حدوثه عند بعض علماء التجويد من المتأخرين خاصة، ومن أقدم ما وقفتُ عليه من ذلك قول أبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ) في كتاب الحروف: «وظاهرٌ أن تلك التصويتات إنما تكون من القَرْعِ بهواء النَّفَس بجزء أو أجزاء من حلقه، أو بشيء من أجزاء ما فيه وباطن أنفه أو شفتيه، فإن هذه هي الأعضاء المقروعة بهواء النفس، والقارع أولاً هي القوة التي تسرب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أوَّلاً فأوَّلاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين، ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزءٍ جزءٍ من أجزاء باطن الفم، وإلى جزءٍ جزءٍ من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان، فيقرع به ذلك الجزء، فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود،

وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم، فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة»(١).

وتحدَّث أبو علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ) في رسالته في (أسباب حدوث الحروف) عن تعريف الصوت، وسبب حدوثه وعوامل تنوعه، ومما قاله: «الفصل الأول: في سبب حدوث الصوت: تَقْدِيرِي أن السبب القريب للصوت تَمَوُّجُ الهواء دفعةً بسرعة وقوة من أي سبب كان... أما في القَرْعِ فباضطرار أن الهواء إذا صار منضغطاً من القارع وقد وَجَدَ مَخْلَصاً في تلك المسافة التي يجري فيها القارع بقوة وسرعة، وأما في القَلْعِ فباضطرارِ القالعِ الهواءَ الذي يدفعه من المكان الذي يخلو من الهواء من القالع، وفي كليهما يلزم انقياد الهواء البعيد التموج وشكل القالع في ذلك المكان، ويكون الانبساط في القرعي أكثر منه، وفي القلعي أقل، ثم يصل ذلك التموج إلى الهواء الساكن في الصِّمَاخِ إلى ذلك العصب المفروش في سطحه»(٢).

وأخذت هذه الأفكار والمعارف اللغوية التي يتداولها الفلاسفة وأهل المنطق تنتقل إلى بعض كتب علماء اللغة العربية في القرن الرابع الهجري وما بعده، وبرزت في كتابات ابن جني وأسهمت في تشكيل نظريته في تعريف الصوت والحرف، والتي أخذها عنه بعض علماء العربية وعلماء التجويد.

عقد ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) مبحثاً لتعريف

---

(١) كتاب الحروف ص ٧٧.
(٢) أسباب حدوث الحروف ص ٣٠ ـ ٣١، وينظر: ص٥.

الصوت والحرف، لَخَّصَ فيه نظريته في كيفية إنتاج الأصوات اللغوية وعوامل تنوعها واختلاف جروسها، وهي أقرب إلى الدرس اللغوي من عبارات الفلاسفة، فقال:

«اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيُسَمَّى المقطعُ أينما عَرَضَ له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تَبْتَدِئُ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه، أو متجاوزاً له، ثم قَطَعْتَ، أحسست عند ذلك صدًى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غيرَ ذَيْنِكَ الأَوَّلَيْنِ»(١).

ويلتقي تعريف ابن جني للصوت والحرف بتعريف ابن سينا لهما، ويتلخص في أن الصوت: «كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع»، وأن الحروف «هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر».

ونقل عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢هـ) فكرة ابن جني في الصوت والحرف ملخصة في كتابه الموضح، فقال: «الألفاظ بأسرها إنما تتركب من حروف وحركات وسكون، وهذه الأشياء الثلاثةُ لكلِّ

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩.

منطوقٍ به كالمادة، عنها يأتلف ومنها ينشأ، فالحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النَّفَس ممتداً مستطيلاً، فتمنعه عن اتصاله بغايته، فحيث ما عرض ذلك المقطع سُمِّيَ حرفاً، وسُمِّيَ ما يُسَامتُهُ ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً، ولذلك اختلف الصوت باختلاف المخارج والصفات...»[(١)].

وتسربت عبارات الفلاسفة في تعريف الصوت وكيفية إنتاجه إلى بعض كتب علم التجويد خاصة عند المتأخرين والمعاصرين، ولا إشكال في أن ينقل علماء التجويد تعريف الصوت وسبب حدوثه وكيفية سماعه عن كتب الحكماء والفلاسفة القدماء أو من كتب الفيزياء المعاصرة، فإن ذلك مما يساعد على فهم ظواهر النطق على نحو أقرب إلى الحقيقية، لكن الإشكال في أن تتسرب بعض المفاهيم غير الدقيقة إلى كتب علماء العربية أو التجويد فتشوش على طريقة فهم المتعلمين لإنتاج الأصوات اللغوية، وتفسير ظواهر النطق.

وإذا كان الفلاسفة والحكماء قد تحدَّثوا عن تعريف الصوت وبينوا أسباب تنوعه واختلافه بمعارف عصرهم فإن نقل عباراتهم كما هي في كتب علم التجويد أو علم الأصوات اللغوية في زماننا لإيضاح عملية التصويت أمر يفتقر إلى الدقة العلمية، وقد يؤدي إلى ترسيخ مفاهيم غير صحيحة، وذلك لقصور عباراتهم عن كشف جميع تفاصيل عملية التصويت كما أدركها الباحثون في زماننا، ومن ثم يلزم الرجوع إلى الكتب الحديثة المؤلفة في الفيزياء والتشريح لتوضيح أجزاء الآلة المُصَوِّتَةِ وعملها، وبيان كيفية حدوث الصوت فيها.

---

(١) الموضح ص ٨٧ .

وإذا كان لعلماء التجويد في العصور السابقة عذرهم في أنهم بذلوا جهدهم في فهم الحقائق العلمية المتعلقة بالصوت في ضوء معارف عصرهم، فإن المؤلفين في العصر الحديث في علم التجويد عليهم أن ينتفعوا بما كشفه التقدم العلمي في ما يتعلق بإدراك حقيقة الصوت وكيفية إنتاجه وعوامل تنوعه، وتتلخص في بيان آلية إنتاج[(١)] الصوت اللغوي، وهذه خلاصتها:

الهواء الخارج من الداخل هو مادة الصوت الإنساني[(٢)]، وهو الزفير، وحين يكون الإنسان في حالة الصمت فإن مجرى النَّفَس يكون مفتوحاً خلال الحنجرة والتجاويف التي فوقها، فيمرُّ الهواء في عمليتي الشهيق والزفير من غير أن يَحْدُثَ صوتٌ مسموعٌ، فإن أراد الإنسان إنتاج صوت لغوي احتاج إلى تحريك أجزاء آلة النطق لاعتراض هواء الزفير وتضييق مجراه أو غلقه وفتحه، مما يؤدي إلى حدوث الصوت، ويتوقف إنتاج الأصوات اللغوية على وجود شيئين: النَّفَسُ

---

(١) استخدم بعض الدارسين عبارة (ميكانيكية النطق)، (ينظر: فوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات ص٧٦، وسمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية ص٧٧)، واستخدم الدكتور محمود السعران (آلية النطق) (ينظر: علم اللغة ص ١١٧)، واستخدم أكثر الدارسين للأصوات اللغوية في العربية مصطلح (إنتاج الصوت اللغوي) (ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٩١، وعبدالرحمن أيوب: الكلام إنتاجه وتحليله ص ٢١٥)، وكلمة (مكانيكية) تعريب للمصطلح الأجنبي، و(آلية) ترجمة له، أما كلمة (إنتاج) فإن مادة هذه الكلمة تتعلق بوَضْعِ جميع البهائم، أي ولادتها (ينظر: لسان العرب ٣/ ١٩٦) فهي كلمة عربية قديمةَ لكن معناها الجديد مُوَلَّدٌ.

(٢) ينظر: ابن الناظم: الحواشي المفهمة ص٥٣، وعبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة ص ٩٥.

والعَارِضُ[١]، أما النَّفَس فيتحصل من هواء الزفير، وأما العارض فيتأتى من تحريك أجزاء آلة النطق، ويمكن أن يحدث ذلك في أي نقطة من مجرى النَّفَس في الحلق والفم، وقد يكون العارض بغلق مجرى النفس ثم فتحه، وقد يكون بتضييقه فيمر الهواء من خلال منفذ ضيق ينتج عنه صوت مسموع.

وعملية إنتاج الأصوات اللغوية لا تتم في الغالب بحركة موضع واحد من أجزاء آلة النطق، وهناك عدد من الحركات التي تؤدي إلى إنتاج الصوت، ومن ثم قيل: إن عملية إنتاج الصوت اللغوي عملية معقدة[٢]، ولكي ندرك حقيقة هذه العملية علينا الوقوف عند العوامل التي تسهم في إنتاج الصوت اللغوي، وتمنحه جَرْسَهُ المميز له، وأهم تلك العوامل ثلاثة هي:

١ ـ حالة الوترين الصوتيين عند إنتاج الصوت: تذبذبهما عند مرور النَّفَس بهما، وينتج عن ذلك صفة الجهر، أو تباعدهما من غير تذبذب، وينتج عن ذلك صفة الهمس، وهو ما سنتحدث عنه في الفقرة اللاحقة.

٢ ـ موضع اعتراض النَّفَس في آلة النطق، وتتحدد بموجبه مخارج الحروف، بدءاً من تجويف الحلق، وانتهاء بالشفتين.

٣ ـ كيفية اعتراض النَّفَس في ذلك الموضع، وتتحدد بموجبه

---

(١) ينظر: جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص١٩.
(٢) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٨ .

صفات الحروف الأخرى، من شدة ورخاوة، وإطباق وانفتاح، وغنة، وتكرير، وغير ذلك.

ولا يتسع المقام لتفصيل أثر هذه العوامل في إنتاج الصوت اللغوي، وتنوعه، ويمكن النظر في كتب الأصوات اللغوية، لمن أراد الوقوف على تفصيلاتها[(١)].

ثانياً: ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تحديد المخارج:

المخرج هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف، أو هو موضع خروجه، كما عَرَّفَهُ عدد من علماء العربية والتجويد، وهذا التعريف صحيح في جملته، لكن بعض الْمُحْدَثِينَ آثروا تعريف المخرج تعريفاً ينطبق على جميع الأصوات اللغوية، فقالوا: «هو النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء»[(٢)]، أو «هو نقطة الانسداد أو التضييق التي يحدث عندها حبس الهواء»[(٣)]، ويمكن القول بناء على ذلك: إن المخرج «هو موضع اعتراض النَّفَس عند النطق بالحرف».

وذهب عدد من علماء التجويد إلى تقسيم المخارج على نوعين: مخرج مُحَقَّق، ومخرج مُقَدَّر، فحيث انقطع الصوت كان المخرج

---

(١) يمكن الاطلاع على عرض وافٍ لأثر هذه العوامل في كتابي (شرح المقدمة الجزرية ص١٩٣ ـ ٢٠٣).

(٢) عبدالعزيز الصيغ: المصطلح الصوتي ص٥٠.

(٣) عبدالقادر الخليل: المصطلح الصوتي ص٤٨.

مُحَقَّقاً، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان المخرج مُقَدَّراً، فمخرج الهمزة مُحَقَّقٌ، مثلاً، ومخرج الألف مُقَدَّر(١).

وبَيَّنَ محمد المرعشي (ت١١٥٠هـ) الأساس الذي قام عليه هذا التقسيم فقال: «سَبَبُ انقطاع الصوت في المخرج المحقق انضغاط الصوت فيه، فلجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد إذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطاً ينقطع به الصوت، بل تمتد بلا تكلف إلى أن تقطعه بإرادتك، ولذا قبلت الزيادة في الامتداد على مقدار يحصل به ذوات هذه الحروف، وهو المدُّ قَدْرَ ألف، ويمكن لك قطع أصواتها عند حصول ذواتها، وذلك عند تمام مرور أصواتها على جَوْفِ الحلق والفم، فمخارجها المقدَّرة جوف الحلق والفم... وبالجملة إن حروف المد لَمَّا لم تنقطع أصواتها في موضع لم يكن لها مخرج مُحَقَّقٌ، فإن المخرج المُحَقَّقَ هو الذي انقطع الصوت فيه»(٢).

ويشير دارسو الأصوات اللغوية المحدثون إلى أن التضييق الذي يحدث في تجاويف آلة النطق المصاحب لنطق الحركات وحروف المد تضييق تجويفي لا موضعي(٣)، وهو ما عبَّر عنه علماء التجويد بتقسيم المخارج إلى محقَّق ومقدَّر، فيحدث تضييق موضعي في نطق الأصوات ذات المخرج المحقق، وذلك بالتقاء عضوين من أَعضاء آلة النطق، كما يحدث في نطق الباء والدال والكاف والقاف وغيرها من

---

(١) ينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص٨ .
(٢) جهد المقل ص ١٢٣ ـ ١٢٥.
(٣) ينظر: فوزي حسن الشايب: محاضرات في اللسانيات ص ٢٢٢.

الحروف الشديدة (الانفجارية)، أو باقتراب أحد العضوين نحو الآخر فيضيق مجرى النَّفَسِ في نقطة معينة، كما يحدث في نطق الفاء والذال والشين وغيرها من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية)، ويحدث تضييق تجويفي في نطق الأصوات ذات المخرج المقدَّر، كما في نطق حروف المد، فيصعب حينئذ نسبة الصوت إلى نقطة معينة في آلة النطق، ومن ثم وَصَفَ علماء العربية والتجويد هذه الأصوات بالجَوْفِيَّةِ، وقد يكون القول إن مخارج حروف المد مقدرة غير كاف، وهو ما جاء الدرس الصوتي الحديث ليزيد تحديد مخارج تلك الأصوات وضوحاً، وهو ما سنتحدث عنه في فقرة لاحقة، إن شاء الله تعالى.

واختلف جمهور علماء السلف في عدد المخارج، وأشهر مذاهبهم في ذلك ثلاثة، هي:

١ ـ المخارج ستة عشر، وهو مذهب سيبويه وجمهور النحويين، وكثير من علماء القراءة والتجويد(١).

٢ ـ المخارج أربعة عشر، وهو اختيار الْجَرْمِيِّ وقطربٍ والفراءِ وابنِ كيسانَ(٢).

---

(١) ذهب إلى ذلك سيبويه (ت١٨٠ هـ) في الكتاب (٤/ ٤٣٣)، وتابعه على ذلك أكثر علماء العربية (ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/ ٦٠، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٢٣ ـ ١٢٤، والإستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٥٠)، وكثير من علماء التجويد (ينظر: الداني: التحديد ص١٠٢، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٧٨، والعطار: التمهيد ص ٢٧٧).

(٢) ينظر: ابن المؤدب: دقائق التصريف ص ٥٤٧، والداني: التحديد ص ١٠٤، ومكي: الرعاية ص٢٤٣، وابن الجزري: النشر ١/ ١٩٨.

٣ ـ المخارج سبعة عشر، وهو اختيار ابن الجزري، وكثير من المتأخرين[(١)].

والفرق بين المذاهب الثلاثة ليس كبيراً، وهي متفقة في أكثر المخارج، وما بينها من اختلاف ينبني على بعض الاعتبارات، فالخليل أفرد لحروف المد مخرجاً مستقلاً هو الجوف، بينما جعل سيبويه الألف من مخرج الهمزة، والياء والواو الْمَدِّيَّيْنِ من مخرجهما غير الْمَدِّيَّيْنِ[(٢)].

فمن جعل المخارج سبعة عشر زاد على مخارج سيبويه مخرج الجَوْفِ، ومن جعلها أربعة عشر جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد.

ومن الدارسين الْمُحْدَثِينَ مَن جعل المخارج أقلَّ من ذلك، فجعل مخرج الضاد من مخرج التاء والدال والطاء، بناء على نطق كثير من القراء في زماننا، وأهمل مخرج النون الخفية، وجمع اللام والنون والراء في مخرج، وربما جعل بعضهم أصوات طرف اللسان من مخرج واحد، وهي (ل ر ن ـ ت د ط ض ـ س ص ز)، وجعل آخرون مخرج (غ خ) من مخرج الكاف، فصارت المخارج بذلك عشرة[(٣)].

(١) ينظر: النشر ١/١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) ينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ٧٣، والمرعشي: جهد المقل ص ١٢٢.
(٣) ينظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٢٨٤، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص ٣٠، وعبد القادر الخليل: المصطلح الصوتي ص٦٣.

وإذا كان الْمُحْدَثُونَ على حق في عدم الخلط بين مخارج الأصوات الجامدة (الصامتة) ومخارج الأصوات الذائبة (المصوتة)، فإن بعض وجهات نظرهم لا تخلو من ضعف، لاسيما جَمْعُ حروف طرف اللسان في مخرج واحد، وعَدُّ مخرج الغين والخاء من مخرج الكاف.

ومع أن ما توصل إليه علماء العربية وعلماء التجويد في تحديد مخارج أصوات العربية بالاعتماد على الملاحظة الذاتية أمر عَدَّهُ الْمُحْدَثُونَ من الإنجازات المتميزة لهم، لكن لا يزال هناك مجال للبحث في عدد من المخارج، وخاصة مخارج الأصوات التي لا تظهر للعين أعضاء آلة النطق التي تشترك في إنتاجها، مثل أصوات الحلق وعدد من أصوات الفم، وأتاح التقدم العلمي وسائل حديثة لتحديد المخارج هي أكثر دقة من الملاحظة الذاتية، ويمكن الإشارة إلى وسيلتين من تلك الوسائل:

١ ـ رَسَّامُ الحَنَكِ الإلكتروني:

من تقنيات الدرس الصوتي الحديث في تحديد المخارج (الحَنَكُ الصناعي palatograph)، ويعتمد على استعمال صفيحة معدنية أو مطاطية رقيقة تطابق سقف فم الشخص الذي يقوم بالاختبار، ويُفَضَّلُ اللون الأسود، وتُرَشُّ الصفحة المواجهة لظهر اللسان من الحنك الصناعي بمسحوق أبيض، فإذا نطق الشخص صوتاً من الأصوات التي يلتقي فيها اللسان بموضع ما من سقف الحنك، كالشين والكاف، فسنجد اللسان يُزِيلُ المسحوقَ في موضع الالتقاء، وذلك الموضع يمثل مخرج ذلك الصوت، وتؤخذ صورة للحنك، ويمكن إعادة

التجربة مع أصوات اللسان كافة، ولكن لا يتأتى ذلك مع أصوات الحلق[١].

وتمكن العلماء من تطوير حنك صناعي إلكتروني (Electropalatograph) أكثر دقة، حَلَّ محل الحنك السابق، ويتكون من حنك صناعي مصنوع من البلاستك، ويحتوي على أربعة وستين حالباً، يزيد عددها أو ينقص بحسب نوع الجهاز، ويتم تثبيت الحنك الصناعي في الفم ملاصقاً للحنك الطبيعي، ومُوَصَّلاً بحاسوب أثناء التجربة، ويقوم الجهاز برسم أجزاء الحنك التي يلامسها اللسان أثناء الكلام، ويعرضها الجهاز أثناء التحدث على الشاشة، أو يقوم بطباعتها على الورق[٢]. وهذه صورة الحنك الإلكتروني ومكوناته:

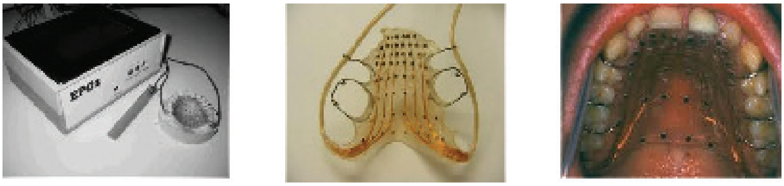

الحنك الصناعي الإلكتروني

٢ ـ منظار الحنجرة الإلكتروني Laryngoscope:

سبقت الإشارة إلى أن الأحناك الصناعية لا يمكنها تحسس مواضع إنتاج أصوات التجويف الحلقي، وقد اخترع العلماء لتلافي ذلك

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٩١، وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٧٣.
(٢) ينظر: منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(منظار الحنجرة)، ويتكون من أنبوب مرن مصنوع من مادة ناقلة للأشعة الضوئية، ينتهي أحد طرفيه بعدسة شيئية تكون متصلة في الغالب بآلة تصوير، يتم إدخال الطرف الذي ينتهي بالعدسة الشيئية عبر إحدى فتحتي الأنف إلى التجويف الأنفي حتى تُشْرِفَ العدسة على الحنجرة من خلف اللهاة، ومن ميزات منظار الحنجرة أنه بإمكان الشخص الذي تُقَامُ عليه التجربة التحدث بصورة طبيعية، إلى درجة كبيرة، في أثناء التجربة.

والحنجرة والحلق من أعضاء آلة النطق التي لا يمكن مشاهدتهما بالعين المجردة أثناء الكلام، لذلك فإن منظار الحنجرة مفيد في تحديد الأعضاء التي تدخل في نطق الأصوات التي مخارجها من الحلق أو الحنجرة، وهذا يفيد في دراسة مخارج أصواتٍ كالغين والخاء، والعين والحاء، والهمزة والهاء في اللغة العربية، والتي لا تزال مخارجها وكيفية نطقها غير معروفة بشكل دقيق، وهذه صورة لأحد أنواع منظار الحنجرة:

وقد أتيح للمتحدث إليكم إجراء تجربة بمنظار الحنجرة في دمشق الشام يوم ١٢/ ٧/ ٢٠١١م، في عيادة الدكتور رضوان كلش، حفظه الله، أمكن من خلالها التعرف على الحنجرة وأجزاء الحلق، وطريقة

عملها، وعلى مراقبة حركة تلك الأعضاء في أثناء النطق بمجموعة الحروف التي تخرج منها، ويمكن من خلال ذلك مراجعة ما هو مُدَوَّنٌ في كتب الأصوات والتجويد عن مخارج هذه الحروف، ولا شك في أن هناك حاجة لتكرار التجربة، حتى تكون نتائجها يقينية، لا مجال للشك فيها.

ومع أن وصف مخارج حروف اللغة العربية الذي دَوَّنَهُ سيبويه ـ رحمه الله ـ يمتاز بالدقة إلى حد كبير، ومع أن جهود علماء العربية والقراءة قد مَحَّصَتْ ذلك الوصف، وأضافت إليه إضافات مفيدة، إلا أن ذلك الوصف به حاجة إلى المراجعة من ناحيتين:

الأولى: حسم الخلاف الواقع بين العلماء، من القدماء والمحدثين، في مخارج عدد من الحروف، مثل الحروف الثلاثة (ل ر ن)، وكذلك (غ خ ك).

والثانية: التدقيق في مخارج الحروف الأخرى، سوى حروف الشفتين، وخاصة حروف الحلق الستة (ء هـ ع ح غ خ)، فهذه الحروف «لا تزال مخارجها، وكيفية نطقها غير معروفة بشكل دقيق»[(١)].

وسبق لي دراسة مخارج حروف الحلق ببحث بعنوان: (وجهةُ نظرٍ جديدةٌ في مخارج الأصوات الستة)[(٢)]، وانتهيت من ذلك بعد عرض أقوال المتقدمين، ومراجعة طريقة نطق هذه الأصوات، إلى ما يأتي:

(١) منصور بن محمد الغامدي: الصوتيات العربية ص ١٧٩، وينظر: سلمان العاني: التشكيل الصوتي ص ٩٣.

(٢) البحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٧، السنة ٣٣،=

الهمزة: صوت حنجري سفلي، شديد (انفجاري) مهموس، أو لا مجهور ولا مهموس، وليس في هذا التحديد من جديد سوى إضافة كلمة (سفلي)، للدلالة على أن الهمزة تنطق بانطباق الوترين الصوتيين السفليين.

الهاء: صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مهموس، وهو تحديد جديد لمخرج هذا الصوت، وهو عندي أقرب إلى اليقين، ومعنى (علوي) أي أن الهاء تُنْطَقُ من بين الوترين العلويين اللَّذَيْنِ كانا يوصفان عند الدارسين الْمُحْدَثِينَ بالكاذِبَيْنِ.

والحاء: صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مهموس.

والعين: صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مجهور.

وهذا التحديد أقرب عندي إلى اليقين، وقد تتساءل عن الفرق بين هذين الصوتين والهاء، ويتلخص ذلك في أن الهاء ينتج بتباعد الوترين العلويين، والحاء والعين بتقاربهما.

والخاء: صوت غَلْصَمِيٌّ رخو (احتكاكي) مهموس، مستعلٍ.

والغين: صوت غَلْصَمِيٌّ رخو (احتكاكي) مجهور، مستعل.

عمان ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م (ص١١ ـ ٥٦)، وكَتَبَ الدكتور فوزي حسن الشايب تعقيباً على البحث في خمس صفحات في العدد ٧٨، السنة ٣٤، في المجلة المذكورة (ص٢٠٧ ـ ٢١١)، وأخذ على البحث أنه لم يخرج من دائرة التخمين والظن، وقال: ولكن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وطالب بأن يُقَدِّمَ الباحث ما يؤيد وجهة نظره من خلال أجهزة مختبر الصوت، وهو مُحِقٌّ في ذلك، وإن كان غير محق في نظري في نفيه أي قيمة علمية للبحث، وجاء قيامي بإجراء تجربة بمنظار الحنجرة لاختبار ما دَوَّنْتُهُ في بحثي عن مخارج الحروف الستة، وأرجو أن أتمكن من إبراز نتائج تلك الدراسة في وقت قريب، إن شاء الله.

ويعني ذلك أنهما يُنْطَقَانِ من منطقة الغَلْصَمَةِ (لسان المزمار)، ويترجح عندي هذا التحديد على ما قال به بعض المحدثين من أنهما صوتان طبقيان، وهو بعيد جداً على ما تدل عليه الملاحظة[(١)].

ولا يعني ما تقدم أن كل ما ذهب إليه دراسو الأصوات من المحدثين هو صواب أو لا يقبل المناقشة، وخير شاهد على ذلك اضطراب المحدثين في تعيين مخرج الغين والخاء، وكان ابن الجزري قد لَخَّصَ في كتابه (النشر في القراءات العشر) مذهب علماء العربية والتجويد في مخرجهما بقوله: «المخرج الرابع: أدنى الحلق إلى الفم، وهو للغين والخاء، ونَصَّ شريح على أن الغين قَبْلُ[(٢)]، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضا[(٣)]. ونَصَّ مكي على تقديم الخاء[(٤)]، وقال الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد بن خروف النحوي: إن سيبويه لم يقصد ترتيباً في ما هو من مخرج واحد»[(٥)].

وذهب عدد من دارسي الأصوات المحدثين إلى أن مخرج الغين والخاء من أقصى اللسان بينه وبين ما يليه من الحنك الأعلى من مخرج الكاف[(٦)]، وليس من أدنى الحلق إلى الفم.

(١) وجهة نظر جديد في مخارج الأصوات الستة (بحث) ص ٤٩ ـ ٥٠.
(٢) قال شريح في كتابه (نهاية الإتقان ٢٤): «ومن أدناه الخاء وتليها الغين».
(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣.
(٤) الرعاية ص ١٦٩.
(٥) النشر ١/ ١٩٩.
(٦) ينظر: تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص ٨٤ ، ورمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص ٣٠ ـ ٣١، وسلمان العاني: التشكيل الصوتي ص ٥٧ ـ ٥٨.

وليس من دليل أكيد على هذا التصور لمخرج الغين والخاء، ويمكن الاستدلال على أن الخاء والغين يخرجان من نقطة أعمق من موضع الكاف بما استدل سيبويه به على أن القاف أعمق من الكاف بقوله: «والدليل على ذلك أنك لو جَافَيْتَ بين حَنَكَيْكَ فَبَالَغْتَ، ثم قُلْتَ: قَقْ قَقْ، لم تَرَ ذلك مُخِلاًّ بالقاف، ولو فَعَلْتَهُ بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخلَّ ذلك بهن»[(١)]. ولو أنك فعلتَ ذلك بالغين والخاء لم تَرَ ذلك مُخِلاًّ بهما، مما يدل على أنهما لا يمكن أن يجتمعا مع الكاف في مخرج واحد، وأنهما يخرجان من نقطة هي أعمق من النقطة التي يخرج منها الكاف.

وسلوك الغين والخاء مع الأصوات التي تجاورها يدل على أنهما أعمق من القاف أيضاً، فالقاف من الحروف التي تَخْفَى عندها النون الساكنة بإجماع، بينما جمهور العرب والقراء يُظْهِرُونَ النون عند الغين والخاء. ورُوِيَ عن بعض العرب[(٢)] وبعض القراء[(٣)] إخفاء النون عندهما، ولَمَّا كان حكم النون الساكنة ينبني على مقدار قرب الصوت الذي بعدها من مخرج النون، فإن الإجماع على إخفاء النون عند القاف، وإظهار جمهور القراء والعرب الغين والخاء قبل النون يدل على أنهما يُنْطَقَانِ من نقطة أعمق من مخرج القاف، وهو أدنى الحلق من الفم، كما قَرَّرَهُ علماء العربية والتجويد.

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٨٠.
(٢) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٥٤.
(٣) ينظر: الداني: التحديد ص١١١، وابن الجزري: النشر ٢/ ٢٢.

وما يبدو من تراجع أقصى اللسان إلى الخلف واقترابه من أقصى الحنك واسترخاء اللهاة على ظهر اللسان عند نطق الخاء والغين لا يدل على أنهما ينطقان من هذا الموضع، بل هما ينطقان من نقطة أعمق من ذلك لكن صوتهما ينفذ من هذا الممر الضيق.

وهذه صورة مخرج الغين والخاء، كما رسمها د. أيمن رشدي سويد، بالاعتماد على وصف الأصواتيين المحدثين، ويبدو أقرب إلى مخارج أقصى اللسان، مثل القاف والكاف:

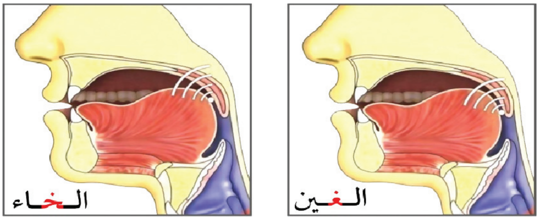

وأحسب أن مخرج الغين والخاء أعمق من ذلك باتجاه تجويف الحلق، قرب لسان المزمار أو الغلصمة، وهو ما عَبَّرَ عنه المتقدمون بأدنى الحلق إلى الفم، وقد يكون الأمر لا يزال به حاجة إلى وسائل حديثة لتحديد مخرجهما بالضبط، وهذه صورة لمخرج الحرفين، أحسب أنها أكثر دقة من الصورة السابقة، وهي التي أدرجتها في بحثي المشار إليه (وجهة نظر جديدة):

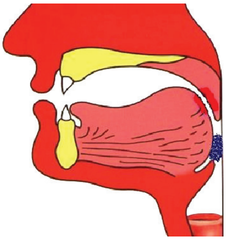

ثالثاً: ما يُمْكِنُ أن يقدمه الدرس الصوتي في تعريف عدد من الصفات:

من المعروف أن تحديد مخرج الحرف لا يكفي وحده للكشف عن جميع عناصره الصوتية التي تميزه عن الأصوات الأخرى، ومن ثم لا بد من الوقوف عند كيفية إنتاج الصوت المصاحبة لتكونه في مخرجه، وهو ما أطلق عليه علماء العربية والتجويد مصطلح صفات الحروف، وقد درسوا تلك الصفات، وقَدَّمُوا تعريفات لها تتسم بالدقة بشكل عام، لكن بعض تلك التعريفات تعددت حولها وجهات النظر، ويبدو أن تناول بعض الدارسين لها قد ابتعد بها عن الوضوح المطلوب، فصارت تَثْقُلُ على الدارسين، إن لم تكن تسبب لهم متاعب تحول دون فهمهم لها، وصحة تطبيقها في الأداء، وسوف أكتفي بالحديث عن أهم الصفات المؤثرة في نطق الأصوات، وهي: الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، التي وَضَعَ سيبويه أسس تعريفها، وأعطاها المصطلحات التي لازمتها، وسوف أعرض بشكل موجز مسيرة هذه الصفات وما انتهت إليه عند المتأخرين من علماء التجويد، وهو ما ألقى بظله على كتب التجويد التعليمية المعاصرة، مما قد يحتاج إلى مراجعة في ضوء ما تحقق في علم الأصوات اللغوية حول تلك الصفات.

١ ـ المجهور والمهموس عند علماء العربية والتجويد:

عَرَّفَ سيبويهِ الصوت المجهور بقوله: «حَرْفٌ أُشْبِعَ الاعتمادُ في مَوْضِعِهِ، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجريَ معه حتى يَنْقَضِيَ الاعتمادُ ويَجْرِيَ

الصوتُ» وعرَّف المهموسَ بقوله: «وأما المهموسُ فحرفٌ أُضْعِفَ الاعتمادُ في مَوْضِعِهِ حتى جَرَى النَّفَسُ»[١].

وكان لتعريف سيبويه للمجهور والمهموس أثره المستمر على علماء العربية والتجويد، وحَظِيَ كذلك باهتمام الدارسين المحدثين[٢]. واستعراض كل ما قالوه في هذا الموضوع يحتاج إلى مجال أوسع لا يسمح به المقام، كما أنه ليس من الضروري الدخول في تفاصيل ذلك، ويكفي إيراد بعض الأمثلة التي تبين الحاجة إلى إعادة النظر في تعريف المجهور والمهموس في كتب التجويد التعليمية المعاصرة.

وحصل لتعريف سيبويه للمجهور والمهموس تغييرات على يد بعض علماء التجويد المتأخرين، تبتعد به أحياناً عن بلوغ حقيقة هاتين الصفتين، وتجلب اللبس أحياناً أخرى حتى يكاد يختلط تعريفهما بتعريف الشديد والرخو، فقال علي القاري (ت ١٠١٤هـ) وهو من العلماء المحققين: «وسُمِّيَتْ مجهورةً لِمَنْعِ النَّفَسِ وحَصْرِهِ أن يَجْرِيَ معها لِقُوَّتِهَا وقُوَّةِ الاعتمادِ عليها عندَ خروجها»، وقال في تعريف المهموس: «سُمِّيَتْ مهموسةً لِجَرَيَانِ النَّفَسِ معها لِضَعْفِهَا ولِضَعْفِ الاعتماد عليها عند خروجها»[٣]. وزاد المسعدي (ت ١٠١٧هـ) على

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٢) ينظر: عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي ص٨٩ ـ ١١٥، وعبد القادر الخليل: المصطلح الصوتي ص١٠٣ ـ ١٠٥.

(٣) المنح الفكرية ص ٩٨.

تعريف المجهور: «وقوة الاعتماد عليها في مخارجها»، وعلى تعريف المهموس: «وضعف الاعتماد عليها في مخارجها»(١).

ووصل تأثير تعريف سيبويه للمجهور والمهموس إلى المؤلفات الحديثة والمعاصرة المؤلفة في علم التجويد، مع حصول عدد من التحريفات في ألفاظ التعريف، تزيد من صعوبة فهمه، مع المحافظة على ذكر القاف والطاء والهمزة ضمن الحروف المجهورة، فالهمس في بعض المؤلفات: «ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى جَرَى النَّفَس معه فكان فيه هَمْسٌ أو خَفَاءٌ ولذا سُمَّي مهموساً»، والجهر هو: «قوة التصويت بالحرف لِقُوَّةِ الاعتماد عليه في المخرج حتى مَنَعَ جريانَ النَّفَسِ معه، فكان فيه جَهْرٌ، أي إعلانٌ وإظهارٌ، ولذا سُمِّيَ مجهوراً»(٢).

وصار تعريف المهموس في بعض المؤلفات: «جَرَيانُ النَّفَس عند النطق به ساكناً» وصار تعريف المجهور: «انْحِبَاسُ جَرْيِ النَّفَسِ مع الحرف عند النطق به»(٣)، وهذا تعريف يكاد ينطبق على الحرف الشديد والرخو.

٢ ـ الشديد والرخو عند علماء العربية والتجويد:

عَرَّفَ سيبويهِ الحرف الشديد بقوله: «وهو الذي يَمْنَعُ الصوتَ أن

(١) الفوائد المسعدية ص ٤٣.
(٢) المرصفي: هداية القاري ١/ ٧٩ ـ ٨٠ ، وينظر: أحمد شكري وزملاؤه: المنير ص١٢٧.
(٣) ينظر: أحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/ ٥٧٩.

يجريَ فيه... وذلك أنك لو قلت: الْحَجّ، ثم مددتَ صوتك لم يَجْرِ ذلك»، ثم ذكر الحروف الرخوة، وقال: «وذلك إذا قلتَ: الطَّسّ وانْقَضْ، وأشباه ذلك، أَجْرَيْتَ فيه الصوتَ إن شئت»، ثم وَصَفَ العين بأنها بين الرخوة والشديدة، ثم ذكر اللام والنون والميم والراء، وقال: إنها حروف شديدة جرى فيها الصوت(١).

وأدرك سيبويه على حقيقة الصوت الشديد، وهي حصره الصوت، فقال وهو يتحدث عن الطاء: «ولأنها حَصَرَتِ الصوت من موضعها كما حَصَرَتْهُ الدال»(٢).

وتابع علماء التجويد سيبويه وعلماء العربية من بعده في هذا التقسيم(٣)، لكن ثمة إضافات أتى بها شراح المقدمة الجزرية وعلماء التجويد المتأخرون، بعضها إيجابي وبعضها سلبي، فمن الإضافات الإيجابية تقرير واستعمال مصطلح (المتوسطة)، واستعمال بعضهم مصطلح (البينية)(٤)، ومن الإضافات الايجابية إدراكهم ما يحدث في نطق الحروف الشديدة، من حصر الصوت، فقال طاش كبري زاده (ت٩٦٨هـ): «إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصاراً تاماً فلا يجري يُسَمَّى شِدَّةً، كما في (الْحَجّ) فإنك لو وقفت على قولك (الْحَجّ) وجدتَ صوتك راكداً محصوراً، حتى لو رُمْتَ مَدَّ صَوْتِكَ لم يمكنك،

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥.
(٢) الكتاب ٤/ ٤٦٠.
(٣) ينظر: كتابي: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص١٢٤ ـ ١٢٧.
(٤) ينظر: طاش كبري زاده شرح المقدمة الجزرية ص٩٥، والمرعشي: جهد المقل ص١٤٤.

وأما إذا جرى الصوت جرياناً تاماً ولا ينحصر أصلاً يُسَمَّى رخوة...»[(١)]، وقال المسعدي (ت١٠١٧هـ): «سميت حروفها شديدة لحبس الصوت عند النطق بحروفها وقوة الاعتماد عليها في مخارجها»[(٢)].

٣ ـ الخلط بين تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو:

وقع بعض شراح المقدمة الجزرية وبعض علماء التجويد المتأخرين في خلط بين تعريف المجهور والشديد، وبين المهموس والرخو، متأثرين بتعريف سيبويه لها، فالمجهور عند سيبويه: «مَنَعَ النَّفَس أن يجريَ معه»، والشديد: «يَمْنَعُ الصوت أن يجريَ فيه»[(٣)]، وقد اضطربت عبارتهم في تعريف الشديد والرخو، فجمع بعضهم بين النَّفَس والصوت في تعريفهما، فقالوا: الرخوة جَرَى معها النَّفَس والصوت، والشديدة انحبس الصوت والنَّفَس معها[(٤)]، وذكر بعضهم النَّفَس وحده في تعريفهما[(٥)]، بينما استخدم سيبويه كلمة الصوت.

ووقع أكثر كتب علم التجويد الحديثة تحت تأثير هذه التعريفات وما وقع فيها من خلط، وحاول بعض المؤلفين تقريبها إلى المتعلمين، ولكن في الإطار نفسه، ولا يتسع المقام لتتبع جميع ما ورد في كتب علم التجويد المتأخرة والمعاصرة حول صفات الجهر والهمس والشدة

---

(١) شرح المقدمة الجزرية ص٩٠، وينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص٩٩.

(٢) الفوائد المسعدية ص ٤٣.

(٣) لكتاب ٤/ ٤٣٤.

(٤) ينظر: ابن الناظم: الحواشي المفهمة ص٥٩.

(٥) ينظر: عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة ص١١٥.

والرخاوة، وسوف أكتفي بالوقوف عند عدد من الكتب المشهورة في زماننا، منها كتاب الشيخ محمد مكي نصر (كان حيّاً **١٣٠٥هـ**) المسمَّى (نهاية القول المفيد في علم التجويد)، الذي جمع فيه مؤلفه خلاصة ما سطرَّه علماء التجويد المتأخرون، من شرَّاح المقدمة الجزرية وغيرهم، وذكر أنه استمد مادته من أربعة وعشرين كتاباً، منها سبعة من شروح المقدمة[(١)].

وتابع الشيخَ محمد مكي نصر علماءُ التجويد المعاصرين في تفسير عملية التصويت وتعريف الصفات الصوتية، وكان قد خَصَّصَ فصلاً لبيان ما تُعْرَفُ به الصفة من همس وجهر وشدة ورخاوة، وعرَّف المصطلحات الأربعة بالتعريف المشهور بين علماء التجويد فقال:

الجهر: انحباس جري النَّفَسِ عند النطق[(٢)].

والهمس: جريان النَّفَسِ عند النطق بالحرف[(٣)].

والشدة: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف[(٤)].

والرخاوة: جريان الصوت مع الحرف[(٥)].

وإذا كان محمد مكي نصر قد عاش في حقبة مبكرة من العصر الحديث، وكان يعتمد على كتب التجويد المتأخرة، فإن العقود الأخيرة قد أتاحت للمؤلفين في علم التجويد مصدرين جديدين هما:

---

(١) ينظر: نهاية القول المفيد ص٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٤.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٥.
(٤) المصدر نفسه ص ٤٦.
(٥) المصدر نفسه ص ٤٦.

الكُتُبُ الأولى لهذا العلم من مؤلفات القرن الخامس والقرون التي تلته، التي طبعت في العقود الأخيرة، وكتب علم الأصوات الحديثة، لكن معظم مَن كتب في علم التجويد من المعاصرين لم يستفد من هذين المصدرين، وهيمنت على كتاباتهم عبارات الكتب المتأخرة في تعريف الصفات الأربع، والتي انبنت على أفكار وتصورات يغلب عليها عدم وضوح دور الوترين الصوتيين في الحنجرة.

وإذا كانت الظروف التي عاش فيها علماء التجويد في العصور السابقة قد فرضت عليهم الالتزام بالعبارات المتوارثة في كتب التجويد لتفسير عملية التصويت، ولم تُتِحْ لهم معارفُ عصرهم أكثر من ذلك فإن الاستمرار في ترديد عبارات تلك الحقبة بجانب ما حصل من تقدم في فهم طبيعة الصوت والكشف عن عوامل تنوعه أمر مخالف للمنهج العلمي، ينبغي التنبه له والعمل على تداركه.

٤ ـ المجهور والمهموس، والشديد والرخو في كتب التجويد المعاصرة:

كثرت المؤلفات الحديثة في علم التجويد كثرة تصعب متابعتها والوقوف عليها، وغلب على تلك الكتب النقل من كتب القرون المتأخرة لتفسير عملية التصويت، على الرغم مما في هذه الكتب من جوانب إيجابية كثيرة علمية وتعليمية، لكن المحافظة على عبارات الكتب القديمة في تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو، ونقل عبارات القدماء في التفريق بينها، يشكل عقبة في طريق المتعلمين في إدراك حقيقة الصوت وفهم صفات الأصوات على نحو

يتناسب مع الحقائق العلمية التي انتهى إليها تطور علم الأصوات في العصر الحديث.

وليس من الضروري تتبع كل ما ورد في كتب علم التجويد الحديثة عن عملية التصويت وعوامل تنوع الصوت، وسوف أكتفي بعرض ما ورد في عدد من الكتب المهمة التي ألفَّها أساتذة متخصصون، من أصحاب الرواية ولهم باع في البحث والتعليم، مما له علاقة بتعريف المجهور والشديد وضدهما، والفرق بين هذه الصفات.

جاء في كتاب (فن الترتيل وعلومه)(١):

١ ـ الهمس: جريانُ النَّفَس مع الحرف عند النطق به ساكناً.

٢ ـ الجهر: انحباس جري النَّفَس مع الحرف عند النطق به.

٣ ـ الشدة: انحباس جري الصوت مع الحرف عند النطق به.

٤ ـ الرخاوة: جريان الصوت مع الحرف حال النطق به.

٥ ـ والتوسط: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف لعدم كمال احتباسه وعدم كمال جريانه.

ثم عَقَدَ المؤلف مبحثاً في توضيح هذه الصفات الخمس (الهمس والجهر والشدة والتوسط والرخاوة) قال فيه:

«أ ـ مدار التعريف فيها:

يلاحظ أن الفرق بين هذه التعريفات هو: جَرْيُ النفس أو انحباسه

(١) أحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/ ٥٧٩ ـ ٥٨١.

بالنسبة (للهمس والجهر) فالنَّفَس الخارج من الصدر يبقى جارياً مع الهمس، أما مع الجهر فلا يجري.

وجَرْيُ الصوت أو انحباسه بالنسبة (للشدة والرخاوة والتوسط) كذلك.

فمدار التعريف فيها هو (النَّفَس والصوت).

ومدار الجهر على انقطاع النَّفَس، ومدار الشدة على امتناع الصوت وعدم جريانه، فإذا امتنعا كان الحرف مجهوراً.

ب ـ الفرق بين النَّفس والصَّوْت:

النَّفَس: الهواء الخارج من الفم دون أن يُسْمَعَ.

والصوت هو النَّفَس المسموع الخارج من الفم.

فالهواء الخارج من الرئة إن خرج بطبعه فهو (نَفَس).

وإن خرج بإرادة الإنسان واحتكَّ بالحنجرة فهو صوت.

فالصوت له تموُّج وتذبذب دون النَّفَس.

ج ـ قوة المخرج وضعفه.

ويلاحظ كذلك أن انحباس النَّفَس أو الصوت: يعتمد على قوة الاعتماد على مخرج الحرف وانحصاره فيه.

وأن جريان النَّفَس أو الصوت: يعتمد على ضعف الاعتماد على مخرج الحرف وعدم انحصاره فيه»[(١)].

وهذا البيان للعلاقة بين الصفات الخمس مبني على ما تقرَّر في

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٥٨٢.

كتب علم التجويد المتأخرة، مع بعض الإضافات التي قد تثير إشكالات جديدة، وتزيد الغموض الذي اكتنف هذه الطريقة في تعريف الصفات الخمس والتعبير عن العلاقة بينها، ولعل القارئ يدرك أصول هذه التعريفات في كتب علماء العربية والتجويد، بما لا يحوج إلى التعليق عليها بأكثر من هذا.

وسار على المنهج نفسه مؤلفو كتاب (المنير في أحكام التجويد) مع اختلاف طفيف في بعض ألفاظ التعريفات، وفي بيان العلاقة بين الصفات، فقالوا(١):

١ ـ **الهمس**: جريان النَّفَس عند النطق بالحروف.

٢ ـ **الجهر**: انحباس النَّفَس عند النطق بالحرف.

٣ ـ **الشدة**: انحباس الصوت عند النطق بالحرف.

٤ ـ **الرخاوة**: جريان الصوت عند النطق بالحرف.

ثم أخذوا في بيان العلاقة بين هذه الصفات ودور النَّفَسَ والصوت في النطق بها، فقالوا: «ويلاحظ أن علاقة هذه الصفات: الشدة والتوسط والرخاوة بالصوت، وأن علاقة الهمس والجهر بالنفس.

فالصوت: الهواء الخارج بإرادة الإنسان، ويحدث له تموج بتصادم جسمين أو بسبب تضييق مجراه أو غلقه نهائياً ثم إطلاقه.

والنّفَس: الهواء الخارج من داخل الإنسان بدافع الطبع. وعليه فلا تعارض بين التعريفين، وإن كان يلزم من انحباس النَّفَس انحباس

(١) أحمد خالد شكري وزملاؤه: المنير ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

الصوت، ولا يلزم من انحباس الصوت انحباس النَّفَس، كما في حروف الجهر، لأن الصوت لا يتصور انبعاثه دون نَفَس، وعليه فالمتوقع أن يكون جميع الحروف الشديدة مجهورة، إلا أن الكاف والتاء مهموسان[١]، والجمع بين هاتين الصفتين أن يقال: إن الشدة في هذين الحرفين باعتبار بداية النطق بهما والهمس فيهما باعتبار انتهاء النطق بهما.

وفي الحروف الرخوة المجهورة كالضاد[٢] والغين يجري الصوت ولا يجري معه نفس كثير كما يجري مع المهموس، ولا يفهم منه عدم جريان النَّفَس بالكلية لأن جريان الصوت يقتضي وجود نَفَسٍ معه ولو كان يسيراً»[٣].

ولا شك في أن مؤلفي الكتاب مُحِقُّونَ في شعورهم بوجود تعارض في هذه التعريفات، وأحسب أن محاولتهم دفع هذا التعارض لم تؤد إلى إزالته، أو كشف الغموض الذي يكتنف الصورة التي تشكلها تلك التعريفات لعملية التصويت، وذلك لأنها في الأصل لم تَنْبَنِ على الأخذ بنظر الاعتبار وظيفة الوترين الصوتيين وآلية إنتاج الأصوات اللغوية.

ولا يخرج الدارس والمتعلم من خلال هذه الطريقة في تعريف هذه المصطلحات بنتيجة واضحة، بل قد تكون هذه التعريفات سبباً في

---

(١) هذا على قول علماء العربية والتجويد، أما المتخصصون بدراسة الأصوات في زماننا فيضيفون إليها القاف والطاء، وبعضهم يضيف الهمزة أيضاً.
(٢) الضاد في نطق جمهور مجيدي القراءة زماننا صوت شديد.
(٣) المنير ص ١٢٩.

انحراف أداء بعض القراء، فقد لاحظت حرص بعض المشتغلين بالأداء على التركيز على إجراء الصوت عند الوقف على الكاف والتاء، بحجة أنهما من الأصوات المهموسة، فلا بد من جري الصوت معهما، ومن ثم فإن بعض أهل الأداء يُتْبِعُهما في نطقه بشائبةً من الرخاوة، حرصاً منه على الالتزام بما جاء في تعريف المهموس، وهو ما لا يتناسب مع النطق الصحيح الفصيح لهذين الصوتين.

٥ ـ تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو، في الدرس الصوتي الحديث:

لعل الأخذ بتعريف المصطلحات الأربعة (الجهر والهمس، والشدة والرخاوة) في علم الأصوات يُسَهِّلُ فهمها والوقوف على حقائقها، وأداء أصواتها على نحو سليم، من غير استخدام لمصطلحي الصوت والنَّفَس، لأن الصوت في الواقع لا يكون من غير نَفَس، وقديماً قال المرعشي(ت١١٥٠هـ): الصَّوْتُ هو النَّفَسُ المسموعُ[(١)]، فلا صوت من غير نَفَسٍ، فتعريف المصطلحات الأربع في الدرس الصوتي الحديث:

المجهور: هو الصوت الذي يهتز الوتران الصوتيان عند النطق به.

والمهموس: هو الصوت الذي لا يهتز الوتران الصوتيان عند النطق به.

والشديد: هو الصوت الذي ينتج بحبس النَّفَس في المخرج ثم إطلاقه.

والرخو: هو الصوت الذي يضيق مجرى النَّفَس في مخرجه.

---

(١) جهد المقل ص١٤٥.

ولا يجد المتعلم، من خلال ملاحظاتي لذلك سنين طويلة، أي صعوبة في فهم هذه التعريفات، كما أنه لا يجد تعارضاً في دلالة المصطلحات الأربعة من خلال هذه التعريفات، فموضع الجهر والهمس هو الوتران الصوتيان في الحنجرة، وموضع الشدة والرخاوة هو مخرج الحرف، ولا تعارض بينها في ذلك، فالهمس في الكاف والتاء مثلاً يترتب على تباعد الوترين الصوتيين في الحنجرة، وتترتب الشدة فيهما على حبس النفس في مخرجهما، وهكذا في جميع الأصوات المجهورة والمهموسة.

ولم يعد الجهر والهمس سراً يحتاج إلى عناء كبير في إدراكه، فقد أظهرت الأجهزة الحديثة للعيان اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالأصوات المجهورة، وتباعدهما في الأصوات المهموسة، وهو ما نجد صورته في كثير من كتب الأصوات الحديثة، وفي بعض كتب التجويد التي أخذ مؤلفوها بالتعريف الحديث للجهر والهمس، على أن صفة الجهر يمكن إدراكها بسهولة عند وضع راحة اليدين على الأذنين، عند النطق بالأصوات المجهورة.

المحور الثالث

أهمية علم الأصوات اللغوية
في دراسة المصوتات
(الحركات وحروف المد)

المحور الثالث

أهمية علم الأصوات اللغوية
في دراسة المصوتات
(الحركات وحروف المد)

يُقَسِّمُ الدارسون الأصوات اللغوية على قسمين، بحسب درجة انفتاح المخرج، هما: الأصوات الصامتة (أو الجامدة consonants)، والأصوات المصوتة (أو الذائبة vowels)، ولم يكن هذا التقسيم غائباً عن علماء السلف حين درسوا أصوات العربية، فقد استعملوا المصطلحات التي يستعملها علماء الصوت اليوم للدلالة على هذه القسمة، وأدركوا الأسس التي قامت عليها، ولست بصدد الحديث عن ذلك في هذا المقام، وسبق لي الحديث عنه في أكثر من موضع من أعمالي العلمية(١).

ولم يكشف حديث علماء العربية والتجويد عن المصوتات (وهي

---

(١) كتبتُ بحث (المصوتات عند علماء العربية)، منشور في مجلة كلية الشريعة (جامعة بغداد)، العدد الخامس ١٩٧٩م، ودرست الموضوع في أطروحتي للدكتوراه (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) ص ١٣٥ ـ ١٤٥، وفي كتابي: المدخل إلى علم أصوات العربية ص٧٤ ـ ٧٨، وفي شرح المقدمة الجزرية ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧.

الحركات وحروف المد) كل ما يتعلق بمخارج هذه الأصوات وصفاتها، لكون مخارجها متسعة لهواء الصوت، يصعب معها تحديد الموضع الذي يحدث فيه اعتراض النفس، وهذا لا يعني التقليل من جهودهم في هذا المجال، فالشكوى من صعوبة البحث في مجال المصوتات قديمة، فقد قال ابن سينا، وهو يتحدث عن الواو والياء والألف: «ثُمَّ أَمْرُ هذه الثلاثةِ عَلَيَّ مُشْكِلٌ..»(١)، وكذلك كان الأمر عند المحدثين، فقد قال أحدهم: «فللحروف الصائتة [يعني المصوتة] مخارج مثل مخارج الصامتة، غير أن تحديدها وتمييزها مشكل»(٢). ويمكن بيان أهمية علم الأصوات اللغوية في مجال المصوتات من خلال الموضوعات الآتية:

١ ـ الحركات المعيارية:

تمكن المشتغلون بعلم الأصوات اللغوية في العصر الحديث من التغلب على صعوبة تحديد مخارج المصوتات، حين اكتشفوا الأسس التي يقوم عليها نطق هذه الأصوات، والتي تتلخص في ملاحظة ثلاثة أمور(٣)، الأول: الجزء الذي يتغير من اللسان مع كل مُصَوِّتٍ، فقد يكون أمامياً وقد يكون خلفياً، والثاني: مقدار ارتفاع ذلك الجزء، والثالث: وضع الشفتين مع كل مُصَوِّتٍ، وأمكن من خلال ذلك تحديد موضع (أو مخرج) كل مصوت من المصوتات المشهورة في اللغات

(١) أسباب حدوث الحروف ص ٨٥ .
(٢) برجشتراسر: التطور النحوي ص ٦٢.
(٣) ينظر: ديفيد ابركرونبي: مبادئ علم الأصوات العام ص ٢١٩.

الإنسانية، وينسب هذا التقدم في دراسة المصوتات إلى عالم الأصوات الإنكليزي دانيال جونز (Daniel Jones) الذي ابتكر ما يُعْرَفُ بالحركات المعيارية (Cardinal Vowels) .

ولا يكاد كتاب من كتب علم الأصوات اللغوية يخلو من الحديث عن الحركات المعيارية، وذكر الأسس التي تقوم عليها، وتتلخص في ثلاثة أمور، وهي[(١)]:

الأمر الأول: تحديد الجزء الذي يتصعد من اللسان باتجاه الحنك الأعلى، (أي سقف الفم)، إذ يمكن أن يكون مقدَّم اللسان أو مؤخره.

الأمر الثاني: تحديد مقدار ارتفاع اللسان باتجاه الحنك الأعلى، فيكون الفراغ بينهما واسعاً أو ضيقاً أو متوسطاً.

الأمر الثالث: تحديد الشكل الذي تتخذه الشفتان في أثناء النطق بالحركة، فتستديران أو تنفتحان أو تنفرجان.

وإذا ارتفع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى إلى أعلى نقطة يمكن أن يصل إليها نتج عن ذلك صوت الكسرة (i)، وإذا ارتفع أقصى اللسان نحو الحنك الأعلى نتج عن ذلك صوت الضمة (u)، وإذا انخفض اللسان إلى قاع الفم وابتعد عن الحنك الأعلى نتج عن ذلك الفتحة، وتكون مرققة إذا صاحب ذلك ارتفاع مُقَدَّمِ اللسان شيئاً قليلاً

---

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٣١، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت ص١٥٥، وسعد عبد العزيز مصلوح: دراسة السمع والكلام ص٢٠٥، وسمير شريف إستيتية: الأصوات اللغوية ص٢١٤.

(a)، وتكون مفخمة إذا صاحب ذلك ارتفاع مؤخر اللسان شيئاً قليلاً (α)، ويوضح ذلك الشكل الآتي:

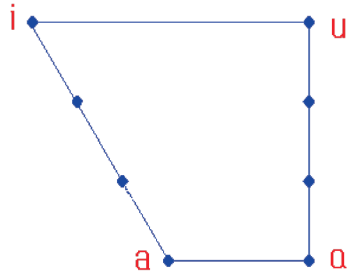

وبَيْنَ الكسرة والفتحة المرققة درجات من الانفتاح، وبين الضمة والفتحة المفخمة درجات من الانفتاح، وينتج عن تلك الدرجات حركات أُخرى، أشهرها حركتان بين الكسرة والفتحة المرققة، وحركتان بين الضمة والفتحة المفخمة، فتصير الحركات الأساسية (المعيارية) ثمانياً، على هذا النحو:

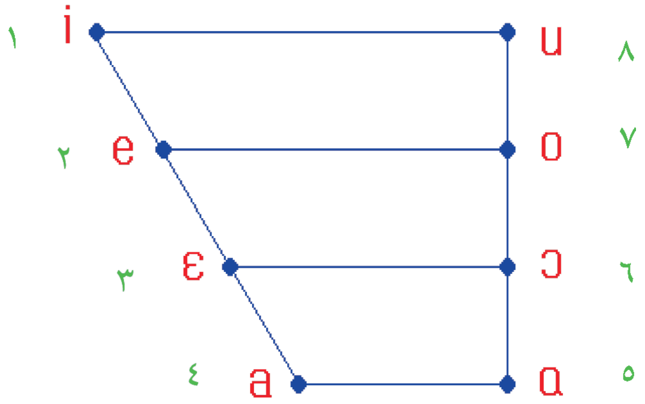

وتوصف الحركة رقم (١) بأنها أمامية ضيقة، وهي تشبه الكسرة الخالصة في العربية.

وتوصف الحركة رقم (٨) بأنها خلفية ضيقة، وهي تشبه الضمة في العربية.

وتوصف الحركة رقم (٤) بأنها أمامية واسعة، وهي تشبه الفتحة المرققة في نحو(كَتَبَ).

وتوصف الحركة رقم (٥) بأنها خلفية واسعة، وهي تشبه الفتحة المفخمة في نحو (صَرَطَ).

وتمثل الحركتان (٢و٣) الصوت الناتج عن إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء، والحركة (٢) تقابل الإمالة الكبرى، ورقم (٣) تقابل الإمالة الصغرى، وهما تقتربان من النطق بالياء في كلمة (بِيت) في العامية.

وتمثل الحركتان (٦و٧) صوت الألف المفخمة، تفخيما شديداً أو متوسطاً، وهما تقتربان من النطق بالواو في كلمة (يُوم) في العامية.

ولا يخفى على الدارس أن مجموعة الحركات الخلفية الأربع (٥ ـ ٨) تستدير الشفتان عند النطق بها، استدارة شديدة مع الحركة رقم (٨)، وخفيفة مع رقم (٦)، ومتوسطة مع الرقم (٧)، وتصلان إلى حالة تقرب من الانفتاح التام مع الحركة رقم (٥)، وتنفرجان مع الحركات الأمامية (١ ـ ٣)، وتصلان إلى حالة الانفتاح مع رقم (٤).

وتتفاوت اللغات الإنسانية في استعمالها للحركات المذكورة، وتستعمل اللغة العربية الفصحى ثلاث حركات منها، هي رقم (١) وتقابل الكسرة، ورقم (٨) وتقابل الضمة و(٤ و٥) وتقابلان الفتحة

مرققة ومفخمة. أما الحركات الأخرى فيوجد بعضها في عدد من القراءات القرآنية، وفي اللهجات العربية واللغات العامية.

ولا يصعب تحديد مخارج حروف المد الثلاثة من الحركات المعيارية، فحروف المد أبعاض حروف المد، كما ذهب إلى ذلك علماء العربية والتجويد من قبل، وكما يقرر ذلك الدرس الصوتي الحديث، ومن ثم فإن مخرج ياء المد هو المصوت رقم (١)، مع إطالة زمن النطق به، وكذلك يكون مخرج واو المد من المصوت رقم (٨)، مع إطالة زمن النطق به، وكذلك ألف المد مرققة أو مفخمة تكون من موضع المصوتين (٤ و٥)، مع إطالة زمن النطق بهما.

وتشارك الواو الجامدة والياء الجامدة كُلاًّ من واو المد ويائه في المخرج، لكنها تفترق في درجة انفتاح المخرج، فالفرق بين ياء المد في (نَسْتعِين) والياء الجامدة في (إيَّاك) هو أن الفراغ بين سطح اللسان وسقف الحَنَك عند نطق ياء المد في (نستعين) أوسع منه عند نطق الياء الصامتة (الجامدة) في (إيَّاك)، وكذلك الفرق بين واو المد في (يُنْفِقُونَ) والواو الصامتة (الجامدة) في (القَوْم)[(١)].

والفتحة والألف يُنْطَقَانِ بفتح الفم واستلقاء اللسان في قاع الفم، مع ارتفاع طفيف في مُقَدَّمِهِ عند النطق بالفتحة المرققة والألف المرققة في مثل (كَتَبَ) و(كان)، وارتفاع طفيف في مؤخره عند النطق بالفتحة المفخمة والألف المفخمة في مثل (قَصَرَ) و(صَامَ).

ويمكن أن تسهم نظرية الحركات المعيارية في تيسير دراسة عدد

---

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٤٢.

من موضوعات القراءة والتجويد، منها: تحديد مخارج الحركات في العربية، كما تَبَيَّنَ في ما تقدم، وتحديد موضع الإمالة، وتحديد طبيعة حركة الإشمام في نحو (قيل وسيء). وهو ما أحاول الحديث عنه بإيجاز هاهنا.

٢ ـ موضع الإمالة في الحركات المعيارية:

حَظِيَ موضوع الإمالة بعناية علماء القراءة، وكتبوا فيه رسائل مستقلة، وكذلك حَظِيَ الموضوع بعناية الباحثين في العصر الحديث، وخصوه بأبحاث مستقلة أو ضمن مؤلفات عامة، وأجاد علماء السلف في تعريف الإمالة، وبيان أنواعها، وذكر أسبابها، وعللها، لكن النظر إلى أنواع الإمالة من خلال الحركات المعيارية يعطيها وضوحاً أكثر، وتحديداً أدق، يقول أبو عمرو الداني في ذكر أنواع النطق بالألفات: «والفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس...والفتح على ضربين:

١ ـ فتح شديد.

٢ ـ فتح متوسط.

فالفتح الشديد: هو نهاية فتح القارئ لِفِيهِ بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف، وسُمِّيَ أيضاً التفخيم، والقراء يعدلون عنه ولا يستعملونه، وأكثر ما يوجد في ألفاظ خراسان ومَن قَرُبَ منهم، لأنَّ طباعهم في العجمة جَرَتْ عليه، فاستعملوه كذلك في العربية، وهو في القراءة مكروه معيب.

والفتح المتوسط: هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء، كابن كثير وعاصم وغيرهما.

والإمالة أيضاً على ضربين:

١ ـ إمالة متوسطة.

٢ ـ وإمالة شديدة، والقراء تستعملهما معاً.

فالإمالة المتوسطة: حقها أن يُؤْتَى بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة.

والإمالة الشديدة: حقها أن تُقَرَّبَ الفتحةُ من الكسرة، والألف الساكنة من الياء، من غير قَلْبٍ خالص، ولا إشباع مبالغ.

والمصنفون من القراء المتقدمين وغيرهم قد يُعَبِّرُونَ عن هذين الضربين من الممال بالكَسْرِ مجازاً واتساعاً، كما يُعَبِّرُون عن الفتح بالتفخيم، ويعبرون أيضاً عنهما بالبطح والإضجاع»[(١)].

ولا شك في صحة ما ذكره أبو عمرو الداني من أنواع الألفات، لكن النظر إليها من خلال الحركات المعيارية سوف يزيد الأمر وضوحاً، ويكشف عن دقة علماء العربية والقراءة حين عالجوا هذه الظاهرة، «وعلى ذلك يكون ما سموه بالإمالة الصغرى [أو المتوسطة] قريباً مما نسميه نحن الآن ـ في علم الأصوات ـ بالحركة المعيارية الأساسية الثالثة، ويكون ما سموه بالإمالة الكبرى [أو الشديدة] قريباً مما نسميه الآن بالحركة المعيارية الثانية»[(٢)].

---

(١) الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة ص ١٩ ـ ٢٢.
(٢) سمير شريف إستيتية: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ص ٢٢٣، وينظر: عبد الفتاح إسماعيل شلبي: في الدراسات اللغوية والقرآنية: الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص ٤٤ ـ ٤٥.

وإذا نظر القارئ في شكل الحركات المعيارية السابق أمكنه بسهولة إدراك موضع الأنواع التي ذكرها الداني، وذلك على النحو الآتي:

ـ الفتح الشديد = الحركة المعيارية رقم ٥.

ـ الفتح المتوسط = الحركة المعيارية رقم ٤.

ـ الإمالة الشديدة = الحركة المعيارية رقم ٢.

ـ الإمالة المتوسطة = الحركة المعيارية رقم ٣.

٣ ـ حركة الإشمام في (قِيلَ) ونحوها:

اعتنى علماء العربية والقراءة ببيان حقيقة الإشمام في الفعل الماضي المبني للمجهول من الفعل الثلاثي الأجوف، في نحو (قيل) و(سيء)، على ما فيه من صعوبة جعلت الزجاجي يقول: «وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة»[(١)]. وبذل علماء العربية والقراءة جهوداً كبيرة، وكتبوا صفحات كثيرة لإيضاح حقيقة النطق بالإشمام في هذه الأفعال، ويمكن أن تقدم الحركات المعيارية مساعدة للدارسين لإدراك حقيقة النطق بالإشمام في هذه الحالة، وسوف أنقل مجموعة نصوص تلخص جهود العلماء السابقين في استجلاء هذه الظاهرة الصوتية، ويمكن أن يتحقق من خلال ذلك أمران، الأول: إظهار مقدار ما بذلوه من جهد في هذا المجال، والثاني: الإفادة من بعض تلك النصوص في الاقتراب من وصف الظاهرة وَصْفاً دقيقاً، بالاستناد إلى الدرس الصوتي الحديث[(٢)].

(١) كتاب الْجُمَل ص ٧٦.

(٢) سبق لي أن درست ظاهرة الإشمام في = الدرس الصوتي العربي، في صورها=

وكان ابن جني من أقدم من اعتنى ببيان طبيعة حركة الإشمام، فقال في كتابه (الخصائص) وهو يتحدث عن أنواع الحركات: «والتي بين الكسرة والضمة، ككسرة قاف (قِيل) وسين (سِير)، فهذه الكسرة مُشَمَّةٌ ضَمّاً»[(١)].

وقال في كتابه (سر صناعة الإعراب): «وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو: قِيلَ، وبُيعَ، وغُيِضَ، وسُيقَ، كما أن الحركة قبل هذه الياء مَشُوبَةٌ بالضمة، فالياء بعدها مَشُوبَةٌ بروائح الواو»[(٢)].

وقال مكي بن أبي طالب في كتابه (الكشف عن وجوه القراءات): «إن الإشارة إلى الضم في هذه الأفعال تُسْمَعُ وتُرَى في نفس الحرف الأول، والحرف الأول مكسور، ومع ذلك الكسر إشارة إلى الضم تخالطه... وليس الحرف الأول من هذه الأفعال بمضموم، إنما هو مكسور يخالط كسرتَهُ شَيْءٌ من الضم»[(٣)].

وقال أبو عمرو الداني: «وحقيقة الإشمام في هذه الحروف أن يُنْحَى بكسر أوائلها نحو الضمة يسيراً دلالة على أن الضم الخالص قبل أن تُعَلَّ، كما يُنْحَى بفتحة الحرف الممال نحو الكسرة قليلاً إذا

=المتعددة، ومنها الإشمام الصرفي في الأفعال المبنية للمجهول من الفعل الثلاثي المعتل العين (ينظر: الإشمام في العربية: حقيقته وأنواعه، منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي في جدة، العدد التاسع ١٤٣١هـ، وضمن كتاب: أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، دار عمار، عمان ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م).

(١) الخصائص ٣/ ١٢٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٦٧.

(٣) الكشف ١/ ٢٣١.

أراد ذلك لِيَدُلَّ على أن الألف التي بعد الفتحة منقلبة عن ياء أو لِتَقْرُبَ بذلك من كسرة وَلِيَتْهَا، وما عدا ذلك في حقيقته فباطل»(١).

وقال ابن الباذش (أحمد بن علي ت٥٤٠هـ): «وحقيقة الإشمام في هذه الأفعال أن يُنْتَحَى بكسر أوائلها انتحاءً يسيراً نحو الضمة، دلالة على أن أصلها (فُعِلَ)...»(٢).

ونقل علم الدين السخاوي عدة نصوص في بيان حقيقة هذا الإشمام، وختمها بقوله: «والغرض بهذا الإشمام الذي هو حركة مركبة من حركتين: ضمة وكسرة، الدلالة على هاتين الحركتين في الأصل: أما الضمة ففي الفاء، وأما الكسرة ففي العين، لأن الأصل (فُعِلَ) مَبْنِيٌّ لِمَا لم يُسَمَّ فاعله»(٣).

وقال تلميذه أبو شامة المقدسي: «والمراد بالإشمام في هذه الأفعال: أن يُنْحَى بكسر أوائلها نحو الضمة، وبالياء بعدها نحو الواو، فهي حركة مركبة من حركتين: كَسْرٍ وضَمٍّ، لأن أوائل هذه الأفعال، وإن كانت مكسورة فأصلها أن تكون مضمومة، لأنها أفعال ما لم يُسَمَّ فاعله، فأُشِمَّتِ الضَّمَّ دلالة على أنه أصل ما يستحقه»(٤).

وقال رضي الدين الإستراباذي في شرح الكافية: «وحقيقة هذا الإشمام أن تَنْحُوَ بكسرة فاء الفعل نحو الضمة، فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلاً، إذ هي تابعة لحركة ما قبلها»(٥).

---

(١) جامع البيان ص ٣٨٨.
(٢) الإقناع ١/ ٥٣٤.
(٣) فتح الوصيد ١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥.
(٤) إبراز المعاني ص ٣٢١.
(٥) شرح الكافية ١/ ٢٧٠.

وقال المالقي: «اعلم أن حقيقة هذا الإشمام أن تَضُمَّ شفتيك حال النطق بكسرة القاف من ﴿وَقِيلَ﴾، والغين من ﴿وَغِيضَ﴾، والجيم من ﴿وَجِاْىٓءَ﴾، فيخرج صوت الكسرة مشوباً بشيء من لفظ الضمة من غير أن ينتهي إلى الضم الخالص، ويصحب الياء التي بعد هذه الكسرة شيء من صوت الواو من غير أن ينتهي إلى الواو الخالصة»[١].

وقال البنا الدمياطي (أحمد بن محمد ت١١١٧هـ): «وكيفية اللفظ به أن تلفظ بأول الفعل بحركة تامة مركبة من حركتين إفرازاً لا شيوعاً، فجزء الضمة مقدم، وهو الأقل، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر، ولذا تَمَحَّضَتِ الياء»[٢].

وقال الصفاقسي (علي بن محمد ت١١١٨هـ): «وكيفية ذلك أن تُحَرِّكَ القاف بحركة مركبة من حركتين: ضمة وكسرة، وجزء الضمة مقدم، ويليه جزء الكسرة، ومَن يقول غير هذا فإما أن يكون ارتكب المجاز، أو قال بما لا تحل القراءة به»[٣].

ويسود في هذا النصوص اتجاهان في تحديد حقيقة هذا الإشمام:

الأول: يذهب إلى أن القاف محركة بحركة واحدة، هي كسرة مشوبة بالضم، والياء بعدها مشوبة بالواو، لأنها تابعة لحركة ما قبلها، ويتضح ذلك في قول ابن جني، ومكي، والداني، وابن الباذش، وأبي شامة، والرضي، والمالقي.

---

(١) الدر النثير ص ٦٢٥.
(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٩.
(٣) غيث النفع ص ٥٦.

والآخر: يذهب إلى أن القاف محركة بضمة تتبعها كسرة، ويتضح ذلك في قول علم الدين السخاوي، والبنا الدمياطي، والصفاقسي.

وإذا كانت هذه النصوص لم تتفق على وصف واحد للإشمام فإن الدرس الصوتي الحديث قد يساعد في الكشف عن حقيقة هذا الإشمام، ويرجح إحدى صور الأداء، فقد استطاع الدرس الصوتي الحديث أن يحقق تقدُّماً في الكشف عن طبيعة الحركات، التي يُطْلِقُ عليها كثير من الدارسين مصطلح المُصَوِّتَات، في مقابل الصوامت، وهي تشمل الحركات وحروف المد، وأن يُحَدِّدَ على نحو دقيق مخارجها وأن يضع المقاييس الدقيقة التي تميز بينها، من خلال ما يعرف بمقاييس الحركات المعيارية، التي تقدمت الإشارة إليها في الفقرة السابقة.

إن محاولة الكشف عن طبيعة حركة الإشمام في (قِيلَ) وما أشبهها يقتضي أوَّلاً الوقوف عند الحركات المعيارية الأساسية، التي مر ذكرها قبل قليل، ثم الحديث عن الحركات المعيارية الثانوية التي يترجح ارتباط حركة الإشمام بها.

وقد لاحظ الدارسون وجود أنواع أخرى من الحركات في عدد من اللغات إلى جانب الحركات المعيارية الأساسية الثمانية، أطلقوا عليها الحركات المعيارية الثانوية، والملاحظ أن تدوير الشفتين، أو عدم تدويرهما، أمر أساسي في تكوين هذه الحركات وتمييزها عن الحركات المعيارية الأساسية، ومن أشهرها الحركة المعيارية الثانوية الأولى، ورمزها [y]، وتسمى الحركة الأمامية الضيقة المدورة، والفرق بين هذه الحركة والكسرة الخالصة [i] أن أولاهما مُدَوَّرَةٌ

والثانية غير مُدَوَّرَةٍ، والطريقة الصحيحة لتعلم هذه الحركة بأن تبدأ بنطق [i] وأن تُبْقِيَ اللسان على حاله من التقدم والارتفاع، ثم تُدَوِّرُ الشفتين، وهذه الحركة شائعة في اللغة الفرنسية(١).

وسَمَّى بعض الدارسين المحدثين هذا النوع من الحركات بالمصوتات الممتزجة، ومنها الحركة الأمامية الضيقة المدورة، وقال: «ويمكن أن تصدر المصوتات المدورة الأمامية بنطق المصوت غير المدور الأمامي، ومن ثم تدوير الشفتين من غير تحريك اللسان»(٢).

ويمكن من خلال الموازنة بين النصوص التي نقلناها عن عدد من علماء العربية والقراءة في وصف حركة الإشمام في (قِيل) ونحوها، وآلية إنتاج الحركة الأمامية المدورة التي تحدثنا عنها الآن نجد أن هناك تقارباً بين وصف بعض العلماء وهذه الحركة، وخاصة مذهب من يجعل القاف محركة بحركة واحدة، وأوضح ما جاء من ذلك قول المالقي: «اعلم أن حقيقة هذا الإشمام: أن تضم شفتيك حال النطق بكسرة القاف من (قِيلَ)... فيخرج صوت الكسرة مشوباً بشيء من لفظ الضمة من غير أن ينتهي إلى الضم الخالص...»(٣).

وقد انتهى الدكتور سمير شريف إستيتية من خلال دراسته للقراءات القرآنية وظواهرها من خلال منهج لساني معاصر إلى القول بأن حركة الإشمام في (قِيلَ) هي الحركة المعيارية الأمامية الضيقة المدورة،

---

(١) ينظر: سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية ص٢٢٠.
(٢) سانفورد: النظام الصوتي التوليدي ص١٩.
(٣) الدر النثير ص ٦٢٥.

فقال: «فإشمام الحركات العربية قريب مما هو معروف في علم الأصوات بالحركة المعيارية الثانوية الأولى، ولا يوجد فرق بين الكسرة والإشمام إلا في تدوير الشفتين عند نطق الإشمام، وعدم تدويرها عند نطق الكسرة، وحقيقة نطق هذا النوع من الإشمام تتمثل في أن يتقدم اللسان إلى الأمام، كوضعه الذي يكون عليه عند نطق الكسرة، وفي تلك اللحظة يتم تدوير الشفتين، وهذه هي الكيفية نفسها التي يتم بها نطق الحركة المعيارية الثانوية الأولى»[(١)].

وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن وجهة نظر المتقدمين: «وحقيقة الإشمام في نظرهم جعل الياء (وهي حركة أمامية طويلة) مركبة من حركتين: الضمة والكسرة، وعلماء الأصوات المعاصرون يذهبون إلى تفصيل أدق في هذه المسألة، إذ يرون أنه يستحيل الجمع بين الضمة والكسرة، إذ يكون اللسان في الأمام عند نطق الكسرة، ويكون في الخلف عند نطق الضمة، والذي يحدث عند نطق الإشمام بالضبط هو أن اللسان يتخذ الوضع الذي يكون عليه عند نطق الكسرة، وفي اللحظة نفسها يتم تدوير الشفتين، وتسمى هذه الحركة في علم الأصوات (الحركة المعيارية الثانوية الأولى) أو بحسب أوصافها (الحركة الأمامية الضيقة المدورة)، تمييزاً لها من الكسرة، والتي تدعى بحسب أوصافها: الحركة الأمامية الضيقة غير المدورة»[(٢)].

ويستطيع المتتبع للمباحث الصوتية الحديثة المتعلقة بالمصوتات أن

---

(١) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ص ٤٩.

(٢) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

يجد أمثلة أخرى لما يمكن أن تقدمه تلك المباحث من فائدة في دراسة علم التجويد وتعلمه، وتعليمه، لعل في مقدمتها تحديد طول الحركات، وحروف المد، وما تستغرقه من زمن، بقياسه بأجزاء الثانية بدلاً من الوسائل المستخدمة في التعليم في العصور المتأخرة، من رفع الإصبع وخفضه، ونحو ذلك، مما لا تنضبط معه أطوال تلك الحركات على نحو دقيق، وتظل المشافهة أكثر فائدة للمتعلم من تلك الوسائل.

المحور الرابع

أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر الصوتية التركيبية

المحور الرابع

أهمية علم الأصوات
في دراسة الظواهر الصوتية التركيبية

من الحقائق العلمية والقوانين الصوتية التي أدركها علماء العربية والتجويد، وأكدتها الدراسات الصوتية الحديثة، أن الأصوات إذا تجاورت في السلسة الكلامية يؤثر بعضها في بعض، ويتوقف مقدار ذلك التأثر ونوعه على العلاقة بين الصوتين المتجاورين، وكلما تدانت الأصوات في المخارج وتقاربت في الصفات ازداد ذلك التأثر، وأطلق علماء العربية والتجويد على ذلك التأثر عدداً من المصطلحات، منها: المضارعة والتقريب، والإدغام، وهو أنواع: كبير وصغير، وكامل وناقص، ومتقدم وراجع، وجَمَعَ الْمُحْدَثُونَ هذه الأنواع تحت مصطلح واحد هو (المماثلة)، وهي في أقرب تعريف لها أن يَنْحُوَ صوتان متجاوران أو أكثر نحو التماثل أو التقارب في المخرج أو الصفات(١).

(١) ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٧٨، وماريو باي: أسس علم اللغة ص ١٤٧، ومالمبرك: علم الأصوات ص ١٤١، وسمير شريف إستيتية: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ص ٦٢، واللسانيات (له) ص ٩٣.

ولست بصدد تتبع أنواع المماثلة وصُوَرِهَا في التراث الصوتي العربي، وما يقدمه الدرس الصوتي في هذا المجال، فهذا الموضوع كبير لا يمكن استيعابه في مثل هذه الحلقة النقاشية، وليس ذلك من أهدافها، لأن ما تهدف إليه محاور هذه الحلقة هو إبراز ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تناول موضوعات التجويد، وإذا كان علم الأصوات اللغوية يتناول معظم موضوعات علم التجويد، ويمكن أن يسهم في توضيح الأفكار، أو تيسير فهم الموضوعات، فإن ذلك قد يكون مُسَوِّغاً للتوسع في تناول الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، لكني أردت أن أَلْفِتَ النظر في هذه الحلقة إلى أهم المسائل التي يكون للدرس الصوتي الحديث تميزٌ واضحٌ في تناولها، ومن ثم فإني سوف أكتفي بتناول واحد من الموضوعات المتعلقة بالظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب، وهو ظاهرة الإخفاء في النون الساكنة والميم الساكنة، من غير الدخول في تفاصيل الأحكام الأخرى المتعلقة بالصوتين.

ومن المعروف أن الميم والنون اختصتا بصفة الغنة، ويسميهما المحدثون بالصوتين الأنفيين لخروج صوتهما من الأنف، والتنوينُ نونٌ ساكنة، «وقد جرت عادة القراء بالنص على التنوين مع أنه مندرج في قولهم: النون الساكنة، وإنما أفردوه بالذكر لأنه يسقط خَطّاً بخلاف غيره من أقسام النون الساكنة»(١). وقال الدكتور سمير شريف إستيتية: «وإنما جعلوا التنوين لاحقاً بالنون لسببين:

أولهما: أن التنوين في حقيقته النطقية ليس شيئاً آخر غير النون.

---

(١) المرادي: المفيد ص ١١١.

وثانيهما: وهو مُرَتَّبٌ على الأول، أنهم وجدوا في الأداء التجويدي أن الذي ينطبق على النون، هو نفسه الذي ينطبق على التنوين، فلذلك كانت الأحكام التي اسْتُخْلِصَتْ من الأداء النطقي للتنوين، مطابقة لتلك التي في الأداء النطقي للنون، ولاشك أن الذي انتهوا إليه يدل على قدر كبير من الإدراك»[١].

وحَظِيَ موضوع أحكام النون الساكنة والتنوين بعناية علماء العربية وعلماء القراءات القرآنية، وعلماء التجويد، وخصصوا له باباً في مؤلفاتهم، وأفرده عدد منهم برسائل مستقلة[٢]، وتلتحق بذلك الميم الساكنة أيضاً، وسوف أتناول موضوع إخفاء النون والميم الساكنتين، ومراجعة بعض صور الأداء لهما من خلال ما يقدمه الدرس الصوتي الحديث، بادئاً بإخفاء النون.

١ ـ إخفاء النون الساكنة:

مذهب جمهور علماء التجويد أن أحكام النون الساكنة أربعة، لكن بعضهم جعلها ثلاثة، وآخرون جعلوها خمسة، قال محمد بن القاسم البقري (ت ١١١١هـ): «إن بعض العلماء جعل للنون والتنوين أحكاماً خمسة[٣]، وبعضهم جعلها أربعة[٤]، وبعضهم جعلها ثلاثة[٥]، والأمر في ذلك سهل.

(١) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ص٩٧.
(٢) ينظر: كتابي: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٣٤.
(٣) ينظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٦٥.
(٤) ينظر: ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٢.
(٥) نسبه زكريا الأنصاري إلى إبراهيم بن عمر الجعبري (ينظر: تحفة نجباء العصر ص٥٢).

فأما من جعلها خمسة فقال: هي إدغام بغنة، وإدغام بلا غنة، وإظهار، وإقلاب، وإخفاء.

ومن جعلها أربعة أسقط الإدغام الذي بلا غنة وأبهم الإدغام، فشمل الشيئين.

ومن جعلها ثلاثة فعل كذلك، وأسقط الإقلاب وأدخله في الإخفاء، فعلى كلامه يكون الإخفاء معه قلب أو لا قلب معه»[(١)].

وتَنَوُّعُ أحكام النون ينبني على قانون صوتي عام، وهو أن التقارب بين الحروف في المخارج أو الصفات يترتب عليه التأثر الكامل أو الناقص، وأن التباعد يمتنع معه ذلك، وقديماً قال أبو الحسن السعيدي: «ولا يكون الإخفاء والإدغام إلا لمقاربة الحرفين أو لتزاحمهما في المخرج الواحد»[(٢)].

وبناء على ذلك فإن أبعد الحروف مخرجاً عن النون هي حروف الحلق الستة، فمَنَعَ ذلك من تأثر النون بها، فتكون مظهرة قبلها، وإن أقرب الحروف إلى النون الراء واللام، سواء أكان ذلك على مذهب سيبويه والجمهور بِعَدِّها من ثلاثة مخارج، أو على مذهب الجرمي ومتابعيه بِعَدِّها من مخرج واحد، وأدَّى ذلك إلى قلب النون راءً أو لاماً وإدغامها فيهما، وما عدا ذلك من الحروف تَوَسَّطَ في القرب والبعد من النون، ومن ثم فإن تأثر النون بها كان وسطاً بين الإدغام

---

(١) غنية الطالبين ص٨٧ .

(٢) رسالتان في تجويد القرآن ص٦٤.

والإظهار، وهو ما سَمَّاهُ علماء العربية والتجويد بالإخفاء، وحروفه خمسة عشر حرفاً.

ويمكن تلخيص أحكام النون الساكنة والتنوين في الجدول الآتي:

رقم المخرج	حروف العربية				نوع الحكم
١	ب	(م)	(و)		
٢	ف				
٣	ث	ذ	ظ		اللون الأحمر: إدغام
٤	س	ز	ص		
٥	ت	د	ط	(ض)	
٦	ل	ن	ر		اللون الأخضر: إخفاء
٧	ج	ش	(ي)		
٨	ك				
٩	ق				اللون الأزرق: إظهار
١٠	غ	خ			
١١	ع	ح			
١٢	ء	هـ			اللون البني: قلب

والإخفاء مصدر أَخْفَى، يقال: أَخْفَيْتُ الشَّيْءَ: سَتَرْتُهُ[١]. وهو حال بين الإظهار والإدغام[٢]، وقال القاضي زكريا في تعريفه: «النطق بحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، عارٍ عن التشديد، مع بقاء الغنة في الحرف الأول»[٣].

ويقال: أُخْفِيَتِ النونُ عندَ الكاف، وأُدْغِمَتِ النون في اللام[٤]، وذلك لأن الحرف في الإدغام ينقلب مخرجاً وصفةً إلى مثل الحرف الذي يدغم فيه، بينما تبقى في الإخفاء صفة الغنة.

وكان سيبويه ـ رحمه الله ـ قد لاحظ إخفاء النون فوصفه بقوله: «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم...»[٥]. ولا يستلزم ما نريد الحديث عنه من إخفاء النون الساكنة إيراد الأمثلة لجميع الحروف، وأهم ما نريد الحديث عنه هو كيفية النطق بالإخفاء، لأنه قد تنوعت صور أدائه في قراءة القراء في زماننا.

والملاحظ أن علماء العربية والقراءة المتقدمين لم يطيلوا الوقوف عند هذه القضية[٦]، لأن عُلَوَّ الرواية وصفاء التلقي كانا يغنيان المتعلم

---

(١) ينظر: لسان العرب ١٨/ ٢٥٦ (خفا).
(٢) ينظر: ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٢٧.
(٣) الدقائق المحكمة ص٧٠، تحفة نجباء العصر (له) ص٦٠.
(٤) ينظر: ابن الناظم: الحواشي المفهمة ص١١١، وطاش كبري زاده: شرح المقدمة الجزرية ص٢٠٧.
(٥) الكتاب ٤/ ٤٥٤.
(٦) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/ ٤٥٤.

عن كثير من المقدمات النظرية، ثم ازداد تدقيق علماء التجويد لتجلية حقيقة الإخفاء، بما يناسب حال أهل زمانهم، وسوف أكتفي بنقل بضعة نصوص، واستنباط ما تدل عليه.

قال مكي بن أبي طالب: (ت ٤٣٧هـ): «فإذا خَفِيَتْ لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها، وبقي ما كان يخرج من الخياشيم ظاهراً... فكان خفاؤها أيسر ليعمل اللسان مرة واحدة»[(١)].

وقال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): «وأما إخفاء النون والتنوين فحقه أن يؤتى بهما لا مظهرين ولا مدغمين، فيكون مخرجهما من الخياشيم لا غير، ويَبْطُلُ عَمَلُ اللسان بهما، ويمتنع التشديد لامتناع قلبهما، وذلك إذا لَقِيَا حروف اللسان غير الراء واللام»[(٢)].

وقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ): «ومعنى خفائها ما قدَّمنا من اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان، وخروج الصوت من الأنف، من غير معالجة بالفم...»[(٣)].

وواضح من النصوص الثلاثة أن القانون الذي تخضع له ظاهرة إخفاء النون يتلخص في اختصار عملية النطق بالنون الساكنة، لتسهيل النطق والاقتصاد في الجهد، ولنطق النون موضع في الفم، ومجى

(١) الكشف ١/١٦٦.
(٢) التحديد ص١٠٠.
(٣) الموضح ص١٧٠.

للنَّفَس في الأنف، فموضع اعتراض النفس في نطق النون بين طرف اللسان وأصول الثنايا (أي اللثة)، وهو ما يسمى بالمخرج، ومجرى النَّفَس من الأنف، وفي الإخفاء ينتقل موضع اعتراض النفس عند اللثة في النطق بالنون إلى مخرج الحرف الذي بعدها، ويستتر فيه، فيكون عَمَلُ اللسان فيها وفي الحرف الذي بعدها من موضع واحد، وهو معنى قول سيبويه: «فلمَّا وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم»[١].

والمتبادر إلى الذهن من هذا الوصف أن اللسان عند النطق بالنون المخفاة يتخذ الشكل الذي يتخذه في نطق الحرف الذي بعدها، وبذلك يتحقق معنى الإخفاء، والسهولة أو الخفة في النطق. فموضع طرف اللسان عند النطق بالنون المخفاة في (منذر) هو نفس موضع الذال، وكذلك في (أنداداً) نفس موضع الدال، وفي (منقلب) نفس موضع القاف، وهيئته هي نفس هيئته.

وورد في بعض كتب التجويد الحديثة الإشارة إلى وجوب تجافي طرف اللسان عن موضعه من اللثة عند النطق بالنون المخفاة، فقال الشيخ عبدالفتاح المرصفي: «من الخطأ في الإخفاء أيضاً إلصاق اللسان في الثنايا العليا عند إخفاء النون الساكنة والتنوين إذ ينشأ عن ذلك النطق بالنون ساكنة مُظهرةً مصحوبة بغنة، فيخرج القارئ بذلك

(١) الكتاب ٤/ ٤٥٤.

عن الإخفاء المقصود، وما سُمِّيَ الإخفاء إخفاءً إلا لإخفاء النون الساكنة عند الحروف الخاصة به، وكيفيته كما صرَّح به غير واحد من أئمتنا كالحافظ القسطلاني(١) أن يكون هناك تجافٍ بين اللسان والثنايا العليا أو بعبارة أُخرى أن يجعل القارئُ لسانَهُ بعيداً عن مخرج النون قليلاً، فيقع الإخفاء الصحيح المقصود، ويتأكد ذلك عند الطاء والدال المهملتين والتاء المثناة فوق، وكذلك الضاد المعجمة»(٢).

وتكرر هذا التحذير في كتب التجويد الحديثة(٣)، حتى صرَّح بعضهم في بيان كيفيته: «أن يظل اللسان عند الإخفاء معلقاً في فراغ الفم، ولا يُلْصَقَ باللثة كما في الإظهار»(٤).

---

(١) عبارته كما نقلها الصفاقسي في تنبيه الغافلين (ص١٠٤): (ومنها ما أشار إليه القسطلاني في لطائف الإشارات بقوله: وَلْيُحْتَرَزْ من تثقيل النون بإلصاق اللسان فوق الثنايا العليا عند الإخفاء فذلك خطأ، وطريق الخلاص منه تجافي اللسان قليلا عن مخرج النون والله تعالى أعلم) ويبدو أن هذا النص في الجزء غير المطبوع من لطائف الإشارات، وقد يكون معنى (تجافي اللسان) تحوله عن مخرج النون إلى مخرج الحرف الذي بعدها.
[تنبيه: لم يكن كتاب لطائف الإشارات قد صدر بطبعته الكاملة وقت إعداد مادة هذه الحلقة، ولكنه قد صدر الآن كاملاً في عشرة أجزاء، من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والحمد لله، والنص المذكور في الجزء الثاني، رقم الصحيفة ٧٩٦].

(٢) هداية القاري ٢/ ١٧٢.

(٣) ينظر: عبد الرزاق إبراهيم موسى: الفوائد التجويدية ص١٧٢، ومحمد عصام القضاه: الواضح ص٧٣.

(٤) أحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/ ٧٦١، وينظر: سمير شريف إستيتية: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ص١٠٠.

والْمُنْصِتُ لأداء القراء في زماننا يجد صدًى لهذا التحذير عند كثير من القراء، ويمكن تمييز ثلاثة مذاهب لكيفية إخفاء النون[١]:

١ ـ وضع اللسان في مخرج الحرف الذي تخفى عنده، سواء في ذلك الدال والتاء والطاء وغيرها.

٢ ـ إبقاء طرف اللسان معلقاً في فراغ الفم شاخصاً نحو اللثة عند جميع حروف الإخفاء.

٣ ـ الجمع بين المذهبين الأول والثاني، وذلك بتخصيص المذهب الثاني بنطق النون قبل الدال والتاء والطاء، وتخصيص المذهب الأول بنطق بقية حروف الإخفاء.

وأحسب أن المذهب الأول هو الذي ينبغي اعتماده، والعمل به، لأخذ كثير من كبار القراء به، ولدلالة النصوص السابقة عليه[٢]، ولتحقيقه الغرض من الإخفاء أكثر من غيره.

وهذه صورة آلة النطق عند إخفاء النون في كلمة (مِنْكُم) على المذهب الأول:

---

(١) ينظر: البحث الموسوم: (إخفاء النون: حقيقته الصوتية، وطريقة أدائه لدى القراء المعاصرين)، ضمن كتابي: أبحاث في علم التجويد ص١٢١.

(٢) قال الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين في تعريبه لكتاب علم الأصوات لمالبرج (ص١٢٤): «إخفاء النون الساكنة بمعنى نطقها أنفية، مع وضع اللسان موضع الحرف التالي لها بشكل متزامن».

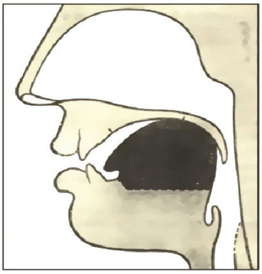

وحذَّر علماء التجويد عند إخفاء النون من المبالغة في إظهار حركة ما قبلَها حتى تستحيل حرفَ مَدٍّ من جنسها، فقال القاضي زكريا الأنصاري: «وينبغي أن تنظر إلى ما قبل الحرف الْمُخْفَى من الحركات، فلا تُخْرِجْهُ عن حَدِّهِ نحو: ﴿كُنتُمْ﴾، فلا تَمُدَّ الضمة عند إخفاء النون، لئلا يَتَوَلَّدَ منها واو فتبقى: كونتم»[١].

ومما يدل على أن الصحيح في نطق النون المخفاة هو المذهب الأول، الذي يقوم على نطق النون المخفاة من مخرج الحرف الذي تخفى فيه، ثلاثة أمور:

الأمر الأول: مراتب الإخفاء التي نص عليها علماء التجويد، فلو كان إخفاء النون يجري على طريقة واحدة لما تَحَدَّثَ علماءُ التجويد المتقدمون عن مراتب الإخفاء، ولم يصرح المتقدمون بتلك المراتب، وقد يكون قول الداني الآتي أوضح ما جاء عن مراتبها عندهم، وهو قوله: «وإخفاؤهما على قَدْرِ قربهما وبعدهما، فما قَرُبَا منه كانا عنده أخفى مما بَعُدَا عنه»[٢]، وأكد هذه الفكرة عبد الوهاب القرطبي (ت

---

(١) تحفة نجباء العصر ص٦١، وينظر: الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر ص٣٣.
(٢) التحديد ص١١٥، وينظر: ابن الجزري: التمهيد ص١٧١.

٤٦١هـ) بقوله: «إن حروف الإخفاء أيضاً ترتبت في التوسط، فكان فيها أقرب وأبعد فكان الإخفاء في الأقرب أكثر منه في الأبعد»(١).

وأشار عدد من شُرَّاحِ المقدمة الجزرية إلى مراتب الإخفاء على نحو موجز، فقال طاش كبري زاده (ت ٩٨٦هـ): «ثم إن الإخفاء أيضاً مراتب، فما هو أقرب إلى القرب يكون الإخفاء أزيد، وما قَرَب إلى البعد يكون الإخفاء دون ذلك»(٢).

وحدَّدَ محمد المرعشي مراتب الإخفاء في ثلاث، حين قال: «واعلم أن الإخفاء على ثلاث مراتب يتوقف على تقديم مقدمة: أن الغنة صفة النون الساكنة وأثرها الباقي عند إخفاء ذاتها، فمعنى صِغَرِ إخفاء النون كِبَرُ أثرها الباقي، ومعنى كِبَرِ إخفائها صِغَرُ أثرها الباقي، إذ ذاتها معدومة عند الإخفاء على كل حال، وحروفُ الإخفاء على ثلاث مراتب: أقربها مخرجاً إلى النون ثلاثة: الطاء والدال المهملتان والتاء المثناة الفوقية، وأبعدها القاف والكاف، والباقي متوسط في القرب والبعد.

وبالجملة إن مراتب الحروف ثلاث:

فإخفاؤهما عند الحروف الثلاثة الأُوَل أزيد، وغنتها الباقية قليلة، بمعنى أن زمان امتداد الغنة قصير.

وإخفاؤهما عند القاف والكاف أقل، وغنتهما الباقية كثيرة، بمعنى أن امتدادها طويل.

---

(١) الموضح ص١٧١.

(٢) شرح المقدمة الجزرية ص١٩٢، وينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص٢٠٠.

وإخفاؤهما عند بواقي الأحرف متوسط، فزمان غنتهما متوسط»[١].

واعتمد أكثر المتأخرين والمعاصرين من علماء التجويد على ما قرَّره المرعشي في مراتب الغنة[٢].

الأمر الثاني: لا يجد الدارس تصنيفاً لصوت النون المخفاة الناتج عن ترك طرف اللسان شاخصاً تجاه اللثة، في المذهب الثاني والثالث لنطق النون المخفاة، التي مر ذكرها، ولا يوجد في صور المماثلة ما يؤدي إلى توليد سمة صوتية جديدة، ليست في أحد الصوتين اللذين يؤثر أحدهما في الآخر، فالمعروف أن الصوت المجهور يؤثر في الصوت المهموس المجاور له، ويؤثر الصوت المهموس في المجهور، وكذلك يؤثر الصوت المفخم في المرقق، وبالعكس، ويؤثر الصوت الأنفي في الصوت الفموي، ويمنحه صفة الأنفية، والصوت الذي نتحدث عنه، وسوف أُسَمِّيهِ (الصوتَ التائِهَ) ليس ناتجاً عن سمة صوتية موجودة في أحد الصوتين، لا في النون الساكنة أو التنوين، ولا في الصوت الذي تخفى عنده النون، فهو صوت مصنوع، أخشى أن يكون ناتجاً عن وَهْمٍ وَقَعَ فيه بعض مشايخ الأداء، وانتهى إلى أن يكون مذهباً يأخذ به بعض القراء في زماننا، وهذا الصوت يُخِلُّ برونق القراءة، ويزيد من أثر ذلك كثرة وقوع النون المخفاة في القرآن

---

(١) جهد المقل ص٢٠٤.
(٢) ينظر: محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص١٢٥، والمرصفي: هداية القاري ١/ ١٧٣، وأحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/ ٧٦١، وعبد الرزاق إبراهيم موسى: الفوائد التجويدية ص١٧١، وأحمد شكري وزملاؤه: المنير ص٥٤.

الكريم، فلا تخلو صفحة من القرآن الكريم من عدد من مواضع الإخفاء، تزيد أو تنقص، والله المستعان.

الأمر الثالث: إن من أهم أغراض المماثلة الصوتية تحقيق السهولة في النطق والاقتصاد في المجهود، ولا يخفى عليكم أن ما يحتاج إليه نطق (الصوت التائه) من جهد يتناقض مع مبدأ السهولة، والاقتصاد في المجهود، فالأصل في الإخفاء أنه يختصر ما يتطلبه نطق النون من تحريك طرف اللسان باتجاه اللثة، وتحريك اللسان للنطق بالصوت الذي تخفى عنده، وذلك بتحريك اللسان مرة واحدة، بوضعه في مخرج الحرف الذي تخفى عنده النون، والنطق بالنون من موضع ذلك الحرف، ثم النطق بالحرف الآخر بعد أن تستوفي النون حظها من الغنة، فيكون عمل اللسان من جهة واحدة بدل أن يكون عملة من جهتين، وهو معنى قول سيبويه: «فلما وصلوا إلى أن يكون لها [أي للنون الساكنة] مخرج من غير الفم، كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم»(١).

وإذا كان ما تقدم صحيحاً فإن ذلك يدعو إلى مراجعة النطق بالنون المخفاة في أداء بعض القراء والمجودين، لتنقية قراءتهم من هذا الصوت الغريب على النطق العربي، والذي قد يكون سبباً في تشويه النطق بالقرآن الكريم، واعتماد مذهب واحد في أداء النون المخفاة، وهو النطق بها من مخرج الحرف الذي تخفى عنده، سواء كان مخرجه

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٥٤.

بعيداً، مثل القاف والكاف، أو قريباً، مثل التاء والدال والطاء، فليس هناك خلل من نطق النون المخفاة من موضع هذه الحروف، ولا مجال للقول إن ذلك يشبه الإظهار، لأنه يمثل أدنى درجات الإخفاء، كما تقدم في قول المرعشي، والله تعالى أعلم.

٢ ـ إخفاء الميم الساكنة:

تمتاز الميم عن بقية حروف الشفتين بالغنة، وهي من الصفات التي تمنع من إدغامها في غيرها من الحروف[١]، فتَطرُّفُ مخرج حروف الشفتين يُضْعِفُ حصول الإدغام بينها وبين حروف الفم وحروف الحلق، وتَمَيُّزُ الميم بالغنة يُضْعِفُ أيضاً حصول الإدغام بينها وبين بقية حروف الشفتين، وهي الفاء والباء والواو[٢].

وللميم الساكنة مع الحروف ثلاثة أحكام: الإدغام في مثلها، والإخفاء عند الباء، والإظهار عند بقية الحروف، وليس هناك خلاف بين أهل الأداء في إظهار النون أو إدغامها، واختلفوا في حكم الميم إذا أتى بعدها باء، فبعضهم يسميه إخفاء، وهو المختار عند الجمهور، وسماه بعض المتقدمين إظهاراً[٣]، وقال ابن الجزري في النشر: «والوجهان صحيحان مأخوذ بهما، إلا أن الإخفاء أولى»[٤].

---

(١) ينظر: الداني: الإدغام الكبير ص٩٧، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٩٨، وابن الباذش الإقناع ١/ ١٨٨.
(٢) ينظر: مكي: الكشف ١/ ١٤٠، وينظر: الداني: الإدغام الكبيرص٩٤.
(٣) ينظر: الداني: التحديد ص١٦٦، والمرادي: المفيد: ص ١٣٥.
(٤) النشر١/ ٢٢٢.

والمأخوذ به في زماننا عند أهل الأداء في الميم الساكنة قبل الباء هو الإخفاء، وكثير منهم يسميه إخفاء شفوياً، تمييزاً له عن إخفاء النون، ويتحقق إخفاء الميم بانطباق الشفتين للميم، ثم ضغطهما للنطق بالباء، قال محمد المرعشي: «وبالجملة إن الميم والباء يخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخل وأقوى انطباقاً كما سبق في بيان المخارج(*)، فَتَلْفِظُ بالميم في ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ [النمل: ٨] بغنة ظاهرة وبتقليل انطباق الشفتين جداً، ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما، وتجعل المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم، فزمان انطباقهما في ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ أطول من زمان انطباقهما في الميم، وزمان انطباقهما في الميم أطول من زمان انطباقهما في الباء، لأجل الغنة الظاهرة حينئذ في الميم، إذ الغنة الظاهرة يتوقف تلفظها على امتداد»[١].

ويميل بعض أهل الأداء في زماننا إلى ترك فرجة بين الشفتين عند إخفاء الميم عند الباء، لكن أكثرهم يطبقون الشفتين، وهو الراجح لدلالة أقوال علماء التجويد عليه، قال الداني في التحديد: «هي مخفاة لانطباق الشفتين عليهما، كانطباقهما على إحداهما»[٢]، وقال في شرح القصيدة الخاقانية وهو يتحدث عن نطق الميم الساكنة والباء:

(*) قال المرعشي في باب المخارج في كتابه جهد المقل (ص١٣٥): «فالمنطبق في الباء طرفاهما اللذان يليان داخل الفم، والمنضم في الواو طرفاهما اللذان يليان البشرة، والمنطبق في الميم وسطهما».

(١) جهد المقل ص٢٠٢.

(٢) التحديد ص١٦٨.

«فإذا توالتا وكانت الأولى منهما ساكنة لم يفتح القارئ شفتيه حتى يتبعها الأخرى، إذا وصل القراءة»(١).

وقال المالقي (ت٧٠٥هـ) وهو يتحدث عن قلب النون الساكنة والتنوين ميماً قبل الباء: «لا خلاف في لزوم القلب في جميع هذه الأمثلة وما أشبهها، وحقيقة القلب هنا أن تلفظ بميم ساكنة بدلاً من النون الساكنة، ويُتَحَفَّظُ من سريان التحريك السريع، ومعيار ذلك: أن تنظر كيف تلفظ بالميم في قولك: الخَمْر والشَّمْس، فتجد الشفتين تنطبقان حال النطق بالميم، ولا تنفتحان إلا بالحرف الذي بعدها، وكذا ينبغي أن يكون العمل في الباء، فإن شرعت في فتح الشفتين قبل تمام لفظ الميم، سرى التحريك إلى الميم، وهو من اللحن الخفي الذي ينبغي التَّحَرُّزُ منه، ثم تلفظ بالباء متصلة بالميم، ومعها تنفتح الشفتان بالحركة، وَلْيُحْرَزْ عليها ما تستحقه من الشدة والقلقلة»(٢).

ولم يَجْرِ نقاش بين علماء التجويد المتقدمين حول إطباق الشفتين أو فتحهما عند النطق بالميم الساكنة قبل الباء، وإنما دار النقاش حول المصطلح المناسب لهذا الحكم، فمنهم من سماه إظهاراً مثل مكي بن أبي طالب القيسي(٣)، ومنهم من سماه إخفاءً مثل الداني(٤)، ونقل ابن الباذش عن أبيه أن كلا الفريقين اتفقوا على المعنى واختلفوا في استعمال اللفظ الْمُعَبِّرِ عنه، فَسَمَّاهُ بعضهم إظهاراً، وسَمَّاهُ آخرون إخفاءً(٥).

---

(١) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني ٢/ ٢٩٩.
(٢) الدر النثير والعذب النمير ص ٤٤٨.
(٣) ينظر الرعاية ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧
(٤) ينظر: التحديد ص ١٦٨.
(٥) ينظر: الإقناع ١/ ١٨٢.

وتدل أقوال العلماء السابقة على أن المذهب الذي كان يأخذ به أهل الأداء في إخفاء الميم الساكنة قبل الباء يقوم على انطباق الشفتين بالحرفين، وليس ثمة ما يشير إلى أن هناك من يخفي الميم الساكنة بترك فرجة بين الشفتين عند النطق بالميم، ولا شك في أن مذهب من يفتح شفتيه في نطق الميم الساكنة قبل الباء يثير إشكالاً صوتياً، لأن التأثر بين الأصوات المتجاورة يخضع لضوابط أو قوانين محددة، ونُطْقُ كلا الصوتين الميم والباء يقتضي انطباق الشفتين، والفرق بينهما أن النَّفَسَ يجري مع الميم من الأنف، ويخرج مع الباء من الشفتين، وانفراج الشفتين أو انفتاحهما قليلاً في مذهب بعض القراء يأتي بعنصر صوتي جديد لا وجود له في العملية النطقية، كما أنه قد يزيد العملية النطقية صعوبة، ومن ثَمَّ فإن ذلك يرجح مذهب من يطبق شفتيه، على نحو ما يتضح من البيان الآتي:

(أ) انفتاح الشفتين يضيف عنصراً صوتياً جديداً:

يخضع التغير الذي يلحق الأصوات اللغوية بسبب المجاورة في التركيب إلى ضوابط مطردة، أو قوانين صوتية ثابتة، ومن تلك القوانين أن التأثر بين صوتين متجاورين لا يأتي بسمات صوتية جديدة ليست في أحد ذينك الصوتين، فأي تغير صوتي يلحق أحد الصوتين إنما يستمده من مكونات الصوت المجاور له، على نحو ما أشرنا عند الحديث عن إخفاء النون في الفقرة السابقة، وصفة انفراج الشفتين أو انفتاحهما التي تظهر في مذهب بعض أهل الأداء عند إخفاء الميم الساكنة عند الباء ليست من مكونات أي من الصوتين، ومن ثَمَّ فإن ذلك جاء خارجاً عن القوانين الصوتية التي تخضع لها ظاهرة التأثر بين الأصوات المتجاورة في السلسلة الكلامية.

(ب) انفتاح الشفتين يزيد النطق صعوبة:

إن تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور في الكلام يهدف إلى تحقيق أمرين، الأول: السهولة في النطق عن طريق التقريب بين صفات الأصوات المتجاورة، والآخر: الاقتصاد في المجهود عن طريق اختصار حركات أعضاء النطق، وإذا حَلَّلْنَا ظاهرة التقاء الميم الساكنة بالباء في ضوء هذين الأمرين سنجد أن انفتاح الشفتين بالميم يؤدي إلى زيادة في عمل أعضاء النطق، ويأتي بعنصر صوتي جديد يتنافى مع مقصد التقريب بين الأصوات واختصار عملية النطق.

ومن ثم فإن انطباق الشفتين في نطق الميم الساكنة والباء أقرب إلى تحقيق مقصد السهولة في النطق والاقتصاد في المجهود، فتندمج عملية انطباق الشفتين لنطق الميم بعملية انطباقهما لنطق الباء، سوى أن الناطق يرخي أقصى الحَنَكِ الليِّنِ عند نطق الميم ليجري الصوت من الخياشيم، ثم يطبقه عند نطق الباء ليتحقق النطق بالباء شديدة، ويخرج الصوت من بين الشفتين بعد انفتاحهما[١].

(١) سبق لي أن كتبتُ بحثاً عن (إخفاء الميم في النطق العربي) وهو منشور في كتاب (أبحاث في علم التجويد ص١٣٤ ـ ١٤٥)، رجحت فيه إطباق الشفتين، وعززت هذه النتيجة بأدلة أخرى في بحث آخر منشور في مجلة (الفرقان) التي تصدرها جمعية المحافظة على القرآن الكريم بعمان، العدد الأربعون ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، وأفدت من البحثين المذكورين في ما كتبته هنا عن إخفاء الميم عند الباء.

خاتمة

كان الهدف من هذه الحلقة واضحاً، هو مناقشة أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، ومِن ثَمَّ تعليمه، ولا شك في أن وسائل التعليم قد تطورت في زماننا، واستعان كثير من المعلمين بوسائل التعليم الإلكتروني، وليس هذا الجانب هو محور هذه الحلقة، لأنه ليس موضع خلاف بين المشتغلين بالقراءات القرآنية وعلم التجويد، وقد رَكَّزَتْ محاور هذه الحلقة على إبراز أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة قواعد علم التجويد، وفي تفسير ظواهره.

وركزت محاور هذه الحلقة على أهم الموضوعات والمسائل التي يمكن أن يكون لعلم الأصوات اللغوية فائدة في معالجتها، سواءٌ في ذلك القضايا المنهجية، أم القضايا المتعلقة بإنتاج الأصوات، أو دراسة المخارج والصفات، أو تفسير الظواهر التركيبية والأحكام الصوتية.

وإذا أحدثتْ هذه الحلقة تغييراً في موقف المشاركين فيها، أو عدد منهم، ولو كان ذلك التغيير محدوداً، من علم الأصوات اللغوية، فإنها تكون قد حققت أهم هدف من أهدافها، وهو لفت أنظار المشتغلين بعلم التجويد والقراءات القرآنية إلى أهمية هذا العلم في دراسة علم التجويد وتعليمه(١)، ومهما تكن التحفظات لدى البعض تجاه علم الأصوات فالمطلوب الاطلاع على ما يمكن أن يقدمه من حقائق علمية تتعلق بالصوت الإنساني وكيفية إنتاجه، ثم استعمال هذه الحقائق في خدمة علم التجويد.

وأود تذكير الإخوة المشتغلين بعلم التجويد بأن الأمر يتطلب بعض الصبر في التعامل مع كتب علم الأصوات، حتى يتمكنوا من سبر أغوارها، وفهم مادتها، والإفادة منها، وأتمنى أن يأتي اليوم الذي تزول فيه الفجوة بين المشتغلين بعلم الأصوات والمشتغلين بعلم التجويد، وأن يكون هؤلاء رواداً للدرس الصوتي العربي، كما كان أسلافنا من قبل.

وفي ختام هذه الحلقة أود الإشارة إلى أن المشتغلين بعلم الأصوات اللغوية بَشَرٌ يُخطئون ويُصيبون، وقد وقع عدد منهم في

---

(١) أحسب أن الحلقة قد حققت ذلك الهدف، والحمد لله، فإني كنت قد سألت المشاركين في الدورة في أول لقاء معهم، وعددهم يزيد على الثلاثين، عن رأيهم في أهمية علم الأصوات للمشتغلين بعلم التجويد، فكان جواب أكثرهم: أنهم لا يرون فائدة فيه، وسألتهم السؤال نفسه بعد انتهاء الدورة، فقال أكثرهم: إنهم صارت لديهم قناعة بفائدة علم الأصوات.

أخطاء في التعامل مع تراثنا الصوتي العربي، وينبغي ألا يمنعنا ذلك من أخذ ما هو مفيد عنهم، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها.

والله تعالى ولي التوفيق.

تكريت

الجمعة: ٢٥/ ١/ ٢٠١٣م = ١٣/ ٣/ ١٤٣٤هـ

المصـــادر

١ ـ إبراهيم أنيس (دكتور): الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م.

٢ ـ أحمد بن أحمد الطويل (الشيخ): فن الترتيل وعلومه، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

٣ ـ أحمد خالد شكري (دكتور) وزملاؤه: المنير في أحكام التجويد، ط٥، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٤ ـ أحمد مختار عمر (دكتور): دراسة الصوت اللغوي، ط٤، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٥ ـ الإستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن): أ. شرح الشافية، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة. ب. شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٦ ـ أمجد عبد الرزاق كرجيه (دكتور): فيزياء الصوت والحركة الموجية، جامعة الموصل ١٩٨١م.

٧ ـ الأندرابي (أحمد بن أبي عمر): الإيضاح في القراءات العشر، تحقيق د. منى عدنان غني، أطروحة دكتوراه، جامعة تكريت ٢٠٠٢م.

٨ ـ أيمن رشدي سويد (دكتور): التجويد المصور، مكتبة ابن الجزري، دمشق ١٤٣٢هـ =٢٠١١م.

٩ ـ برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أخرجه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

١٠ ـ ابن الباذش (أحمد بن علي): الإقناع في القراءات السبع، ط١، تحقيق د.عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق ١٤٠٣هـ.

١١ ـ البقري (محمد بن القاسم): غنية الطالبين ومنية الراغبين، تحقيق محمد معاذ مصطفى الخن، دار الإعلام، عمان ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

١٢ ـ البنا الدمياطي (أحمد بن محمد): إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، تصحيح علي محمد الضباع، مطبعة عبد الحميد حنفي، القاهرة.

١٣ ـ بيتر لادفوجد: عناصر صوتيات موجات الكلام، ترجمة د.محمد العناني، دار جرير، عمان ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

١٤ ـ البيضاوي (عبد الله بن عمر): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

١٥ ـ تمام حسان (دكتور): مناهج البحث في اللغة، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

١٦ ـ جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، تونس ١٩٦٦م.

١٧ ـ ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد): أ. التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م. ب. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجشتراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م. ج. النشر في القراءات العشر، مراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت). د. منجد المقرئين، درا الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

١٨ ـ ابن جني (أبو الفتح عثمان): أ. الخصائص، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠م. ب. سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م = ١٤٢٨هـ.

١٩ ـ جون بيرنثال، ونيكولاس بانكسون: الاضطرابات النطقية والفونولوجية، ترجمة جهاد محمد حمدان وموسى محمد عمايرة، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٩م.

٢٠ ـ أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى أحمد النماس، ط١، القاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٢١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٢٢ ـ الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): أ. الإدغام الكبير، تحقيق عبدالرحمن حسن عارف، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م. ب. التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار الأنبار، بغداد ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م. ج. جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تحقيق محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م د. شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، تحقيق غازي بن بنيدر بن غازي العمري الحربي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ هـ. الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، تحقيق فرغلي سيد عرباوي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م.

٢٣ ـ ديفيد ابركرونبي: مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة د. محمد فتيح، القاهرة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

٢٤ ـ الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد): المفردات في غريب القرآن، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

٢٥ ـ رمضان عبد الوهاب (دكتور): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

٢٦ ـ الزجاجي (عبدالرحمن بن إسحاق): كتاب الجمل في النحو، ط٤، تحقيق على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ـ دار الأمل ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٧ ـ زكريا الأنصاري (القاضي زكريا بن محمد): أ. تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، تحقيق د.محيي هلال السرحان، بغداد ١٩٨٧م. ب.الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

٢٨ ـ سانفورد: النظام الصوتي التوليدي، ترجمة د. نوزاد حسن أحمد، جامعة صلاح الدين، أربيل ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ السخاوي (علم الدين علي بن محمد): أ. جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق د.علي حسين البواب، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م. ب. فتح الوصيد في شرح القصيد، ط١، تحقيق جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٣٠ ـ سعد عبد العزيز مصلوح (دكتور): دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٣١ ـ السعيدي (أبو الحسن علي بن جعفر): رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ = ٢٠٠٢م.

٣٢ ـ سلمان حسن العاني (دكتور): التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)، ترجمة د. ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣.

٣٣ ـ سمير شريف إستيتية (دكتور): أ. الأصوات اللغوية: رؤية عضوية

ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان **٢٠٠٣**م. ب. القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوي، منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، إربد **٢٠٠٤**م. ج. اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، وجدارا للكتاب العلمي، عمان **١٤٢٩**هـ = **٢٠٠٨**م.

٣٤ ـ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة.

٣٥ ـ ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبدالله): أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية دمشق.

٣٦ ـ أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل): إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٧ ـ شريح بن محمد الرعيني: نهاية الإتقان في تجويد القرآن، مخطوط، مكتبة الجمعية الملكية الأسيوية في البنغال، كلكتا بالهند، رقم (٧٩٥)، نسخة مصورة في مكتبة الدكتور حازم سعيد حيدر، جزاه الله خيراً.

٣٨ ـ الصفاقسي (علي محمد النوري): أ. تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ب. غيث النفع في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت **١٤٠٥**هـ = **١٩٨٥**م.

٣٩ ـ صلاح حسنين (دكتور): المدخل في علم الأصوات المقارن، مكتبة الآداب ٢٠٠٦م.

٤٠ ـ طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى): شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: د.محمد سيدي محمد محمد الأمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢١هـ.

٤١ ـ ابن الطحان (عبدالعزيز بن علي الإشبيلي): نظام الأداء في الوقف والابتداء، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م.

٤٢ ـ عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة، تحقيق د. نزار خورشيد عقراوي، دار عمار، عمان ٢٠٠٣م.

٤٣ ـ عبدالرحمن أيوب (دكتور): أ. أصوات اللغة، ط١، مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٩٦٣م. ب. الكلام إنتاجه وتحليله، جامعة الكويت ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٤٤ ـ عبد الرزاق بن إبراهيم موسى: الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ط١، دار ابن القيم ـ ودار ابن عفان ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٤٥ ـ عبدالعزيز الصيغ (دكتور): المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، بيروت ـ دمشق ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٤٦ ـ عبد الفتاح إسماعيل شلبي: في الدراسات اللغوية والقرآنية: الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ط٢، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

٤٧ ـ عبدالقادر مرعي العلي الخليل (دكتور): المصطلح الصوتي عند

علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، ط١، جامعة مؤتة ١٩٩٣م.

٤٨ ـ عبدالوهاب بن محمد القرطبي: الموضح في التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٤٩ ـ العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد): التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٥٠ ـ علي القاري (ملا علي بن سلطان): المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٥١ ـ العماني (أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد): الكتاب الأوسط في علم القراءات، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٥٢ ـ غانم قدوري الحمد: أ. أبحاث في علم التجويد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م. ب. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م. ج. شرح المقدمة الجزرية، معهد الإمام الشاطبي، جدة ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م. د. المدخل إلى علم أصوات العربية، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م. هـ. وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٧، السنة الثالثة والثلاثون ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

٥٣ ـ الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان): كتاب الحروف، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م = ١٤٢٧هـ.

٥٤ ـ فوزي حسن الشايب (دكتور): محاضرات في اللسانيات، ط١، وزارة الثقافة، عمان ١٩٩٩م.

٥٥ ـ القسطلاني (أحمد بن محمد): لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٣٤هـ.

٥٦ ـ القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨١م.

٥٧ ـ كمال محمد بشر (دكتور): أ. دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م. ب.علم الأصوات، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.

٥٨ ـ ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ليبيا ١٩٧٣م.

٥٩ ـ المالقي (عبدالواحد بن محمد): الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

٦٠ ـ مالمبرج (برتيل): علم الأصوات، تعريب ودراسة، د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٥م.

٦١ ـ محمد عصام القضاة (دكتور): الواضح في أحكام التجويد، ط٣، دار النفائس ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

٦٢ ـ محمد مكي نصر (الجريسي): نهاية القول المفيد في علم التجويد،

راجعه علي محمد الضباع، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بمصر ١٣٤٩هـ.

٦٣ ـ محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

٦٤ ـ المرادي (الحسن بن قاسم): المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

٦٥ ـ مكي بن أبي طالب القيسي: أ. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ط٣، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م. ب.الكشف عن وجوه القراءات وعللها، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

٦٦ ـ المرصفي (الشيخ عبدالفتاح السيد عجمي): هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٦٧ ـ المرعشي (محمد بن أبي بكر، الملقب ساجقلي زاده): جهد المقل، تحقيق د.سالم قدوري الحمد. دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٦٨ ـ المسعدي (عمر بن إبراهيم بن عمر): الفوائد المسعدية في حل الجزرية، تحقيق جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة ٢٠٠٥م.

٦٩ ـ منصور بن محمد الغامدي (دكتور): الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٧٠ ـ ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، القاهرة، بولاق.

٧١ ـ ابن المؤدب (قاسم بن محمد): دقائق التصريف، تحقيق د.أحمد ناجي القيسي وآخرين، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٧هـ = ١٩٧٤م.

٧٢ ـ ابن الناظم (أحمد بن محمد بن الجزري): الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، عمر عبدالرزاق معصراتي، الجفان والجابي، دمشق ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م.

٧٣ ـ ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

٧٤ ـ ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش): شرح المفصل، الطباعة المنيرية، القاهرة.

فهرس الموضوعات

تقديـم ٥
مقدمة ٩
المحور الأول: مقدمة تاريخية ومنهجية ١٩
أولاً: نشأة علم التجويد ١٩
ثانياً: علم التجويد بين الرواية والدراية ٢٩
ثالثاً: فروع علم الأصوات اللغوية ٣٥
١ ـ علم الأصوات النطقي، أو الفسيولوجي ٣٧
٢ ـ علم الأصوات الفيزياوي، أو الأكوستيكي ٣٨
٣ ـ علم الأصوات السمعي ٤٠
رابعاً: أي فروع علم الأصوات أكثر فائدة للمشتغلين بعلم التجويد؟ ٤٢
المثال الأول: سبب اختلاف الجرس الصوتي لكل فرد ٤٤
المثال الثاني: سر الفرق الصوتي بين النون والميم ٤٦
تعريف بعدد من أجهزة علم الصوت الفيزياوي ٤٧
١ ـ راسم الذبذبات ٤٧
٢ ـ المطياف ٤٨
خلاصة واستنتاج ٤٩

المحور الثاني: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية والمخارج والصفات ٥٣
أوَّلاً: آلية إنتاج الصوت اللغوي ٥٤
ثانياً: ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تحديد المخارج: ... ٦٠
١ ـ رَسَّامُ الحَنَكِ الإلكتروني ٦٤
٢ ـ منظار الحنجرة الإلكتروني ٦٥
ثالثاً: ما يُمْكِنُ أن يقدمه الدرس الصوتي في تعريف عدد من الصفات: ... ٧٢
١ ـ المجهور والمهموس عند علماء العربية والتجويد ٧٢
٢ ـ الشديد والرخو عند علماء العربية والتجويد ٧٤
٣ ـ الخلط بين تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو ٧٦
٤ ـ المجهور والمهموس، والشديد والرخو في كتب التجويد المعاصرة . ٧٨
٥ ـ تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو، في الدرس الصوتي الحديث ٨٣
المحور الثالث: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة المصوتات ٨٧
١ ـ الحركات المعيارية ٨٨
٢ ـ موضع الإمالة في الحركات المعيارية ٩٣
٣ ـ حركة الإشمام في (قِيلَ) ونحوها ٩٥
المحور الرابع: أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر الصوتية التركيبية .. ١٠٥
١ ـ إخفاء النون الساكنة ١٠٧
٢ ـ إخفاء الميم الساكنة ١١٩
خاتمة ١٢٥
المصادر ١٢٩
فهرس الموضوعات ١٤١

مركز تفسير للدراسات القرآنية

مركز علمي متخصص يسعى لتحقيق الريادة في تطوير الدراسات القرآنية في شتى المجالات: العلمية، والتعليمية، والتقنية، والإعلامية، والتنظيمية، والتمويلية، من خلال مشروعات متميزة من الدراسات والبحوث والبرامج الإعلامية والدورات التدريبية والمؤتمرات واللقاءات والتطبيقات الإلكترونية، بعمل مؤسسي يتحرى الإتقان، وينشد الجودة، ويمد جسور التعاون والشراكة مع كافة مؤسسات المجتمع وسائر العاملين في خدمة القرآن الكريم وعلومه في العالم أفراداً ومؤسسات.

❍ الرؤية:

الريادة في تطوير الدراسات القرآنية.

❍ الأهداف:

١ ـ الارتقاء بمستوى الدراسات القرآنية واستشراف مستقبلها.

٢ ـ تطوير البيئة التعليمية في مجال الدراسات القرآنية.

٣ ـ تحديث وتطوير البنية التنظيمية للمركز ونشر هذه الثقافة بين المؤسسات العاملة في المجال.

٤ ـ تطوير بيئة تقنية داعمة، وتوظيفها في مجال الدراسات القرآنية.

٥ ـ توظيف وسائل الإعلام (التقليدي والجديد)، وتعزيز الشراكات والعلاقات في خدمة الدراسات القرآنية.

❍ عنوان المركز:

- المملكة العربية السعودية، الرياض، حي الغدير ـ مخرج (٥) طريق الملك عبد العزيز، خلف بنك (ساب)
- ص. ب: ٢٤٢١٩٩ الرمز البريدي: ١١٣٢٢
- البوابة الإلكترونية: www.tafsir.net
- البريد الإلكتروني: info@tafsir.net

إصدارات مركز تفسير للدراسات القرآنية

❍ نصوص تراثية:

١ ـ الزيادة والإحسان في علوم القرآن ـ ابن عقيلة المكي

❍ معاجم وموسوعات:

١ ـ المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم ـ عبد الله جلغوم
٢ ـ معجم الرسم العثماني ـ د. بشير الحميري

❍ دراسات تأصيلية:

١ ـ اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ـ د. محمد صالح سليمان
٢ ـ الركيزة في أصول التفسير ـ د. محمد الخضيري
٣ ـ أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد ـ أ.د. غانم قدوري الحمد
٤ ـ المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه ـ د. فهد الوهبي
٥ ـ الاستدلال في التفسير ـ د. نايف الزهراني
٦ ـ منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ـ د. حسين الحربي
٧ ـ الأساليب العربية الواردة في القرآن وأثرها في التفسير ـ فواز الشاووش

❍ دراسات علمية:

١ ـ مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير(١) ـ د. مساعد الطيار
٢ ـ أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير ـ د. عطية الفقيه
٣ ـ الموصول لفظاً المفصول معنى في القرآن الكريم ـ خلود شاكر العبدلي
٤ ـ علوم القرآن عند الإمام الشاطبي ـ د. مساعد الطيار
٥ ـ بحوث المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية
٦ ـ مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير(٢) ـ د. مساعد الطيار
٧ ـ بحوث محكمة في علوم القرآن وأصول التفسير ـ د. مساعد الطيار

❍ دراسات نقدية:

١ ـ آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية ـ د. أمجد الجنابي
٢ ـ القرآن الكريم وعلومه في الفيلم الوثائقي ـ مجموعة من الخبراء والنقاد
٣ ـ القرآن الكريم وعلومه في الموسوعات اليهودية ـ أحمد البهنسي
٤ ـ موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير ـ د. محمود البعداني
٥ ـ تعدد ترجمات معاني القرآن الإنجليزية في ضوء الإعراب ـ د. خالد المليفي

❍ حصاد ملتقى أهل التفسير:

١ ـ الوقف والابتداء
٢ ـ حفص بن سليمان القارئ بين الجرح والتعديل
٣ ـ الإمام ابن جرير الطبري وتفسيره
٤ ـ لقاءات ملتقى أهل التفسير (١ ـ ٤)

❍ مختصرات محررة:

١ ـ المختصر في التفسير ـ نخبة من علماء التفسير

فهرس الموضوعات

تقديـم ٥

مقدمة ٩

المحور الأول: مقدمة تاريخية ومنهجية ١٩

أولاً: نشأة علم التجويد ١٩

ثانياً: علم التجويد بين الرواية والدراية ٢٩

ثالثاً: فروع علم الأصوات اللغوية ٣٥

١ ـ علم الأصوات النطقي، أو الفسيولوجي ٣٧

٢ ـ علم الأصوات الفيزياوي، أو الأكوستيكي ٣٨

٣ ـ علم الأصوات السمعي ٤٠

رابعاً: أي فروع علم الأصوات أكثر فائدة للمشتغلين بعلم التجويد؟ ٤٢

المثال الأول: سبب اختلاف الجرس الصوتي لكل فرد ٤٤

المثال الثاني: سر الفرق الصوتي بين النون والميم ٤٦

تعريف بعدد من أجهزة علم الصوت الفيزياوي ٤٧

١ ـ راسم الذبذبات ٤٧

٢ ـ المطياف ٤٨

خلاصة واستنتاج ٤٩

المحور الثاني: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية والمخارج والصفات ٥٣
أوَّلاً: آلية إنتاج الصوت اللغوي ٥٤
ثانياً: ما يمكن أن يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تحديد المخارج: ... ٦٠
١ ـ رَسَّامُ الحَنَكِ الإلكتروني ٦٤
٢ ـ منظار الحنجرة الإلكتروني ٦٥
ثالثاً: ما يُمْكِنُ أن يقدمه الدرس الصوتي في تعريف عدد من الصفات: ... ٧٢
١ ـ المجهور والمهموس عند علماء العربية والتجويد ٧٢
٢ ـ الشديد والرخو عند علماء العربية والتجويد ٧٤
٣ ـ الخلط بين تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو ٧٦
٤ ـ المجهور والمهموس، والشديد والرخو في كتب التجويد المعاصرة . ٧٨
٥ ـ تعريف المجهور والمهموس، والشديد والرخو، في الدرس الصوتي الحديث ٨٣
المحور الثالث: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة المصوتات ٨٧
١ ـ الحركات المعيارية ٨٨
٢ ـ موضع الإمالة في الحركات المعيارية ٩٣
٣ ـ حركة الإشمام في (قِيلَ) ونحوها ٩٥
المحور الرابع: أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر الصوتية التركيبية .. ١٠٥
١ ـ إخفاء النون الساكنة ١٠٧
٢ ـ إخفاء الميم الساكنة ١١٩
خاتمة ١٢٥
المصادر ١٢٩
فهرس الموضوعات ١٤١